منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2477) السنة التاسعة - الاربعاء (9) أيـار 2012

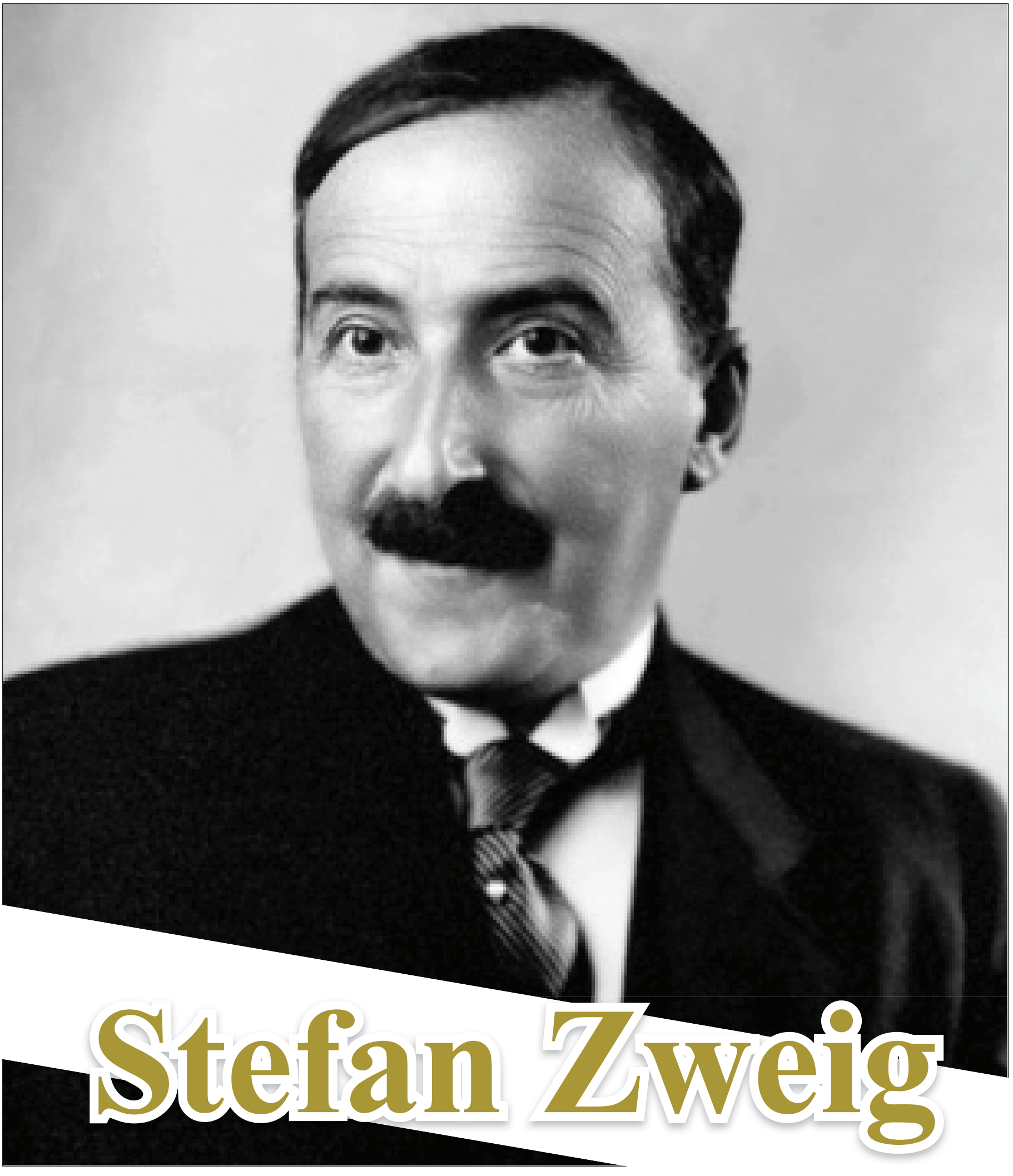

Stefan Zweig

ستيفان زفايج
والعالم الذي احببناه

فـاطـمـة الـفـلاحـي

"بورتريه ستيفان زفايج"

• في عـام ١٨٨١، ،ولـد الكاتـب النمسـاوي ستيفان زفايج،
• في عـام ١٩١٤ بـدأت رحلة اليأس والشقاء مع ستيفان زفايج.
• في الفـترة بـين عامي ١٩١٨ . ١٩٣٩، عاش ستيفـان وجيلـه مـن الكتـاب فترة سـلام دون حروب
• في عـام ١٩٢٥، ألـف كتابـا مهمـا بعنوان: "المعركة مع الشيطان"
• في عـام ١٩٣٢، انفصـل عن زوجته الأولى فريديريك، التي تعبت من متطلباته ومغامراته العاطفية.
• في عـام ١٩٣٣ حرقـت وأتلفـت كتاباته في ساحات ألمانيا، لأنـه كان يهوديا. بعد أن عرفت كتاباته شهرة ونجاحا كبيرا عند القراء.
• في عام ١٩٣٤،غادر فيينا،بعد أن عاش فيها (٥٣) سنة، ليعيش في لندن.
• في عـام ١٩٣٤ كتـب روايتـه "حـذار مـن الشفقة".
• في عـام ١٩٣٨ هربـت زوجتـه الاولى الى باريـس، تاركـة خلفهـا عـددا مـن المخطوطات التي وضع النازيون يدهم عليها.
• في عـام ١٩٣٨، تم ضـم بـلاده النمسا الى ألمانيا بعد أن سيطر عليها النازيين.
• في عـام ١٩٣٩، كتـب لقرائـه عـن أمـر يخصـه ويخـص الثقافـة الأوروبيـة ويخص ألمانيـا والنمسا،عـن طاغيتهـا الهالـك ونمسـا سالزبورغ وشتراوس والبرجوازيات الملكية والكاتدرائيات••
• في عـام ١٩٤٠، إلتقـى بلـوت ألتمـان في إنكلـترا، كانـت سكرتيرته خـلال كتابته سيرة ماري ستيوارت، وتزوج منها.
• في عام ١٩٤١، بعد عدة شهور أمضياها في الولايـات المتحـدة الأميركيـة، غـادر الزوجان إلى البرازيـل، بهدف الهـروب من رعب الحرب التـي عاشهـا شتيفـان تسفايـغ بمثابـة رعـب حقيقـي كما أنه وجدهـا بمثابة انحلال أخلاقي كامل.
• في عـام ١٩٤٢، كتب رواية "عالم الأمس"، أتوبيوغرافيا.
• في عـام ١٩٤٢، كتب ١٩٢ رسالة لأصدقائه يعلمهم انتحاره ومات منتحراً في البرازيل.
• في عام ١٩٥١ تم طبع كتابه "ماجلان قاهر البحار" ترجمة حبيب جاماتي.
• بعـد وفاته بسنـوات صدرت لـه مخطوطة خفيـة وهي رواية جديدة،غـير منشورة سابقاً وغـير معروفة وهـي "السفر في الماضي".في ألمانيـا والترجمـة لباتيست توفـيراي عن "دار غراسّيه". وسجلت مبيعاتها أرقاما قياسية في الدولتين،وسيتم ترجمتها الى لغات عدة.

العالم الذي أحببناه ولّى إلى غير رجعة. وما يأتي منه ليس بوسعنا أن نتحمله. وما جدوى أن يواصل المرء حياة شاحبة.

ستيفان زفايج

قــراءات

• بـرع ستيفان زفايج في رواية التحليل النفسي ، فقد درس الفلسفة وتاريـخ الأدب ، ثـم بـدأت محاولاتـه الأولى بكتابـة الشعـر والدراما. فقـد كان يصطفي ايقاع قصيدتـه وصوتها الموسيقي، قبل أن يملأها في الجُمل، وينظم القصيدة.

• مـن الشعر والدرامـا إلى السيكولوجيا وتاريـخ الأدب إلى المسرح والتراجم وإلى كتابة حياة الشخصيات.

• روائـي وقاص وكاتـب سـير العظمـاء، تتميـز كتاباتـه بالتحليل النفسي،أسـبر أدق تفاصيـل حيـاة الأدبـاء العظام، بنـاة الفكر والادب والفلسفـة مثل نيتشه، هولدرن، دوستويفسكي، رومان، رولان، بلزاك، كازانوفا.، فكشف ما فيها من حقائق مجهولة عن الجميع،أو هي معروفة فقط على نطاق ضيق من الأهل والأصدقاء.

• قام بالعديد من الترجمات للنصوص الفرنسية إلى اللغة الألمانية.

• عالم الأمس، رواية أتوبيوغرافيا، تحليل نفسي حربي، نص حربي وعاطفـي، يؤرخ الحـرب النازيـة فيها وهزيمـة العقل ودمـار النفسية واغتيال الأحلام.

• أدبه حافل ومنوع يمتاز بوصف الحالات النفسية والرومانسية في مسارب الروح وغيابات النفس وخفايا القلب..

• أخفى وبمهارة خصوصيته وحسه اليهوي في كتاباته.

• صنـف عملـه القصصـي "لاعـب الشطـرنج" و " فيراتـا" بالقصة الطويلة القصيرة.كما الشيخ والبحر لأرنست همنغواي.

• فيراتـا هو شقيـق ارميا،وهو ستيفان زفايـج نفسه.. بعد أن عرف مـا يعانيـه المجرمـون مـن آلام العقوبـة ومـا يحتملونـه في ظلمـات السجون.

هـذه القصـة تكشف عـن فلسفـة ستيفـان زيفايـج الإنسانيـة الحزينة وصوفيته الخفية الدفينة وتبين موقفه من الحياة ومشكلاتها.

• كل أعماله تنطوي على أن " الإنسان المتميز يبقى يتمسك بالنزاهة العامـة في كل الأوقـات، وحتـى لـو تجـرد مـن حقوقـه فإنـه في آخـر خطـوات الألم والفاقـة يحـاول أن يبدع ويهـب الآخرين شيئـا ذا قيمة في الحيـاة سـواء كان كاتبـا أو شخصـا عامـا يتمتـع بخصوصية في شخصيته."

"أن عـالم ستيفـان زفانـغ شديـد الخصوصية،والدخـول فيـه يشبـه الدخـول إلى النفس الإنسانية ، يعـي كل كلمة يكتبها بمسؤولية كبرى، قلقا على مستقبل الأجيال. "

• ستيفان كاتب يصف نفسه بأنه كان "يهوديا بالصدفة". فقد عاصر حربـين عالميتين، وهو المحب للسـلام والتواصل، عانى بقوة من رعونة الحقبـة النازية ودكتاتوريتهـا،كان مسكونا بحلم الوحـدة الأوروبية ، وكان ينظر إلى يوم يعم فيه السلام على هذا العالم.

• ولـج الى عـالم "بنـاة العـالم" القساة،نـكل برعونتهـم، بجوعهـم للافتراس وتحويلهـم البسيطـة إلى دم ودمـوع، الأرض إلى حفـاة وثـكالى وأشـواك يحـط عليهـا القلـب والذاكـرة والضمـير والخيال. يسمـي تسفايغ المبدعين بمختلـف شرائحهم ب-بناة العالم- وهو يعني "عـالم الإنسـان الداخلي الذي يبنيـه هؤلاء في نفوس أبناء الحقب التاريخية، كمـا يمكن لهؤلاء أن يشوهوا أبنـاء هذه الحقب فيجعلوهم إنهزاميـين، استسلاميين، جبناء. فيزرعوا في نفوسهم الجبن والتسليم بالأمر الواقع تحت سياط التهديد والرعب."

• كتاباته بنكهة الفلسفة، لاتخلو من الرهافة التي رافقته حتى بعد أن مات،ونحـن نقرأ كتاباته. فقد سبق رسالتـه السرية الموجهة لأصدقائه، التي اعلن فيها خبر وفاته،فانتحر..

"مـن أقوالـه"

• كُرِّمـت واحتقـرت، ونعمـت بالحريـة وحُرمـت منها، وتمتعت بالغنى وعانيت العوز.

• حتـى لو اشفقت أنت عليهم..هل تتوقع مايقابل شعورك النبيل هذا منهم؟
"كتاب حذار من الشفقة".

• تحطيـم الهيبـة الملكيـة في فرنسـا لم يبـدأ مـع سقـوط سجـن الباستيـل وانمـا بـدأ بهـذه القصة الزوجية في قصر فرساي.

• الفكـرُ حينَ يُحرم من مـدد خارجي يظل يتطلب نقطة أرتكاز لـه، والا دارحول ذاته دورانا جنونياً. الفكـر لايتحمل الفراغ هو أيضـاً ينتظرمن الصباح الى المساء أن يحدث شيئاً؟

• هكـذا، لم يعد أي مكانة ولا في أي مكان.. حتى الوطـن الحقيقي الـذي اختـاره قلبـي، أوروبا، قد فقدتـه منـذ أن لجـأت للمـرة الثانيـة إلى الانتحار، إنها تتمزق في حرب أخوية.

• أنـا أدرك الظـروف غـير المواتيـة، والمميـزة رغـم ذلـك لعصرنـا، والتي أحـاول فيهـا أن أصوغ ذكرياتـي، إننـي أكتبـه في بلـد أجنبـي، والحـرب قائمـة، ومن غـير أن تتلقـى ذاكرتي أقـل مساعدة، أو رسائـل أصدقائـي، ولا يسعنـي أن أبحـث عـن المعلومـات في أي مـكان، لأن البريـد في العـالم كله قد عطل أو أعيق من الرقابة، نحن نعيش متقاطعين كمـا عشنا منذ مئات السنـين، قبل أن تخترع السفن والقطارات والطائرات والبريد.

رأي ستيفان زفايج بالآخر

كازانوفا وستيفان زفايج

يرى زفايج في كتابات كازانوفا الصاخبة بوصف كل مايراه من حياته المثيرة و الصفيقة التي تغص بالمتع و اللذائذ وغير المراعية للأعراف و التقاليد،و أن كل مافيها من غزارة مذهلة من الجنود و الأمراء، البابوات و الملوك، قطاع الطرق و المحتالين، الغشاشين و التجار وكتاب العدل، و الفلاسفة، انه معرض بشري جذاب آسر لا أغنى و لا أغزر منه.
جمعه كازانوفا وحشده بين دفتي كتاب واحد، يضيف قائلا: أنها لمفارقة عجيبة أن مشاهير الشعراء من معاصري كازانوفا من أمثال (ميتاتياس) الموهوب و(باريني) النبيل وغيرهما من فرسان الشعر،قد طواهم غبار الكتب،بينما اصبح كازانوفا رمزا شائعا وفنانا شهيرا، افرزه عصر النهضة، معللا ذلك إلى أن ما يضطر أحد الشعراء إلى اختراعه وتخيله،قد عاشه كازانوفا بكل جوارحه،و أن ما يصف لنا أحد الأدباء من بنات أفكاره، فقد عاشه كازانوفا،عندها باتت مذكراته تمثل حالة فريدة ومنجماً ثراً تغري بغناها وتلهم الكتاب و المؤلفين و أن مئات الروايات و المسرحيات مدينة لمذكراته بافضل شخصياتها و مواقفها.

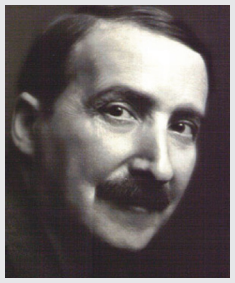

فرويد وستيفان زفايج

كتب فرويد رسالة إلى أندريه بروتون يستغرب فيها أن تكون أبحاثه من أهم مصادر الحركة السريالية، و أن يكون أبا روحيا لهذه الحركة، مع أن أساليب الفن بعيدة عن اهتمامه. وبعد أن هاجر فرويد إلى لندن، وصل إليه صديقه القديم ستيفان زفايج بصحبة سلفادور دالي عام ١٩٣٨، وصرح فرويد بأنه معجب بذكاء هذا (الشاب الإسباني)، ولكن دالي رسم بعد ذلك بالحبر الأسود صورة ساخرة لفرويد، يبدو فيها كعجوز منحوس، وأعطى الصورة لستيفان زفايج وطلب منه أن يوصلها إلى فرويد، ولكن زفايج كتب في مذكراته أنه لم يعط الصورة إلى فرويد الذي كان مريضا، وخشي زفايج أن تسبب له رؤيتها مزيدا من الألم.

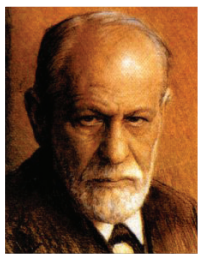

ستيفان زفايج وكلايست وهولدرلين ونيتشه

يقول ستيفان زفايج عنهم: "لم تكن لهم علاقة بزمنهم، ولم يفهموا من قبل جيلهم، فمروا كالنيازك او كالشهب. وقد لمعوا فترة قصيرة قبل ان يحترقوا في غياهب مهمتهم."

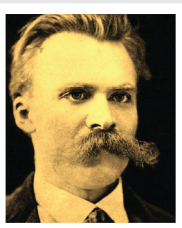

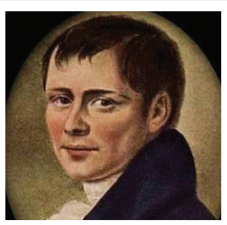

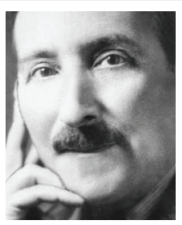

ستيفان زفايج ودستوفسكي

يقول ستيفان زفايج عن عالم دستويفسكي الروائي: "ينبغي أن ننزل الى أعماق سحيقة، ونعبر متاهات طويلة عريضة قبل أن نصل إلى شخصية ذلك العملاق. فرواياته فريدة من نوعها، قوية، جبارة، كما أنها بعيدة ومرعبة. وكلما أردنا النفاذ إلى اعماقها اصبحت أكثر سرية".
ويقول: "بالنسبة لدستويفسكي لا يوجد جحيم، يوجد فقط الطهر أي مكان وسط بين الجنة و النار. فالإنسان المعذب الذي يحترق هو أكثر واقعية من الإنسان المغرور، الناجح، أو البارد الذي تجمد قلبه في الشرعية البورجوازية. فالكائنات الحقيقية هي تلك التي تعذبت، والتي تحترم العذاب. وعن طريق العذاب توصلت إلى السر النهائي للعالم. إن من يتعذب هو أخونا عن طريق الشفقة و الرحمة. فإن دستويفسكي هو النموذج الأكبر على الكاتب الذي بنى عالما داخلياً بكل أحلامه، ومخاوفه، وجنونه."

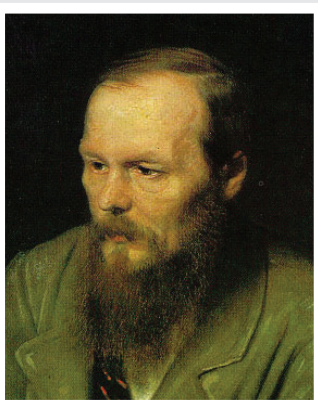

ستيفان زفايج وديكنز

قال ستيفان زفايج في تشارلز ديكنز: فقد عرف الشهرة في حياته واستمتع بالمجد على عكس دستويفسكي وبلزاك. فلم تبجل أمة كتّابها مثلما مجد الانكليز تشارلز ديكنز. وتكمن عبقرية ديكنز في أنه صور بشكل حقيقي ميزات ونواقص المجتمع الإنكليزي في عهد الملكة فيكتوريا، ولكن نظرته القاسية والمرنة لا تنسى ابداً،أن تكون كريمة ومتسامحة. ولدى ديكنز كما لدى بلزاك ودستويفسكي نلاحظ أنه حتى المقهورين أو المهزومين يمكنهم أن يعلموننا شيئا ما.

ستيفان زفايج وبلزاك

قدم ستيفان زفايج عن بلزاك بورتريه لا يستهان به. فقد قارن بينه وبين نابليون. فما حققه نابليون بالسيف، حققه بلزاك بالقلم. كلاهما عبقري وملهم، فقد أسسا عالمين فريدين. نابليون حلم بتوحيد أوروبا ونسف حدودها،ولكنه أوقف في صعوده اخيراً بعد هزيمته في واترلو.
بلزاك كتب الكوميديا البشرية،التي تشكل عالماً بأسره. فهي لا تقل طموحاً عن انجازات نابليون. ولكنها تمتاز بأنها خالدة. يقول شتيفان تسفايغ: "إن عالم بلزاك موجود بالنسبة لكل واحد منا سواء أكان فرنسياً أم نمساوياً، إنكليزياً أم المانياً. إنه لجميع البشر. فالكوميديا البشرية التي تصور الحياة النفسية بكل جوانبها تنطبق على الإنسان أينما كان."

ستيفان زفايج وهولدرلين

يقول في جمالية هولدرلين، هي في الوقت نفسه، تعبير دقيق عن مأساته الشخصية.

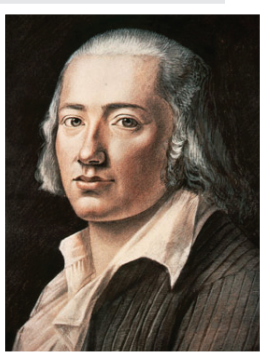

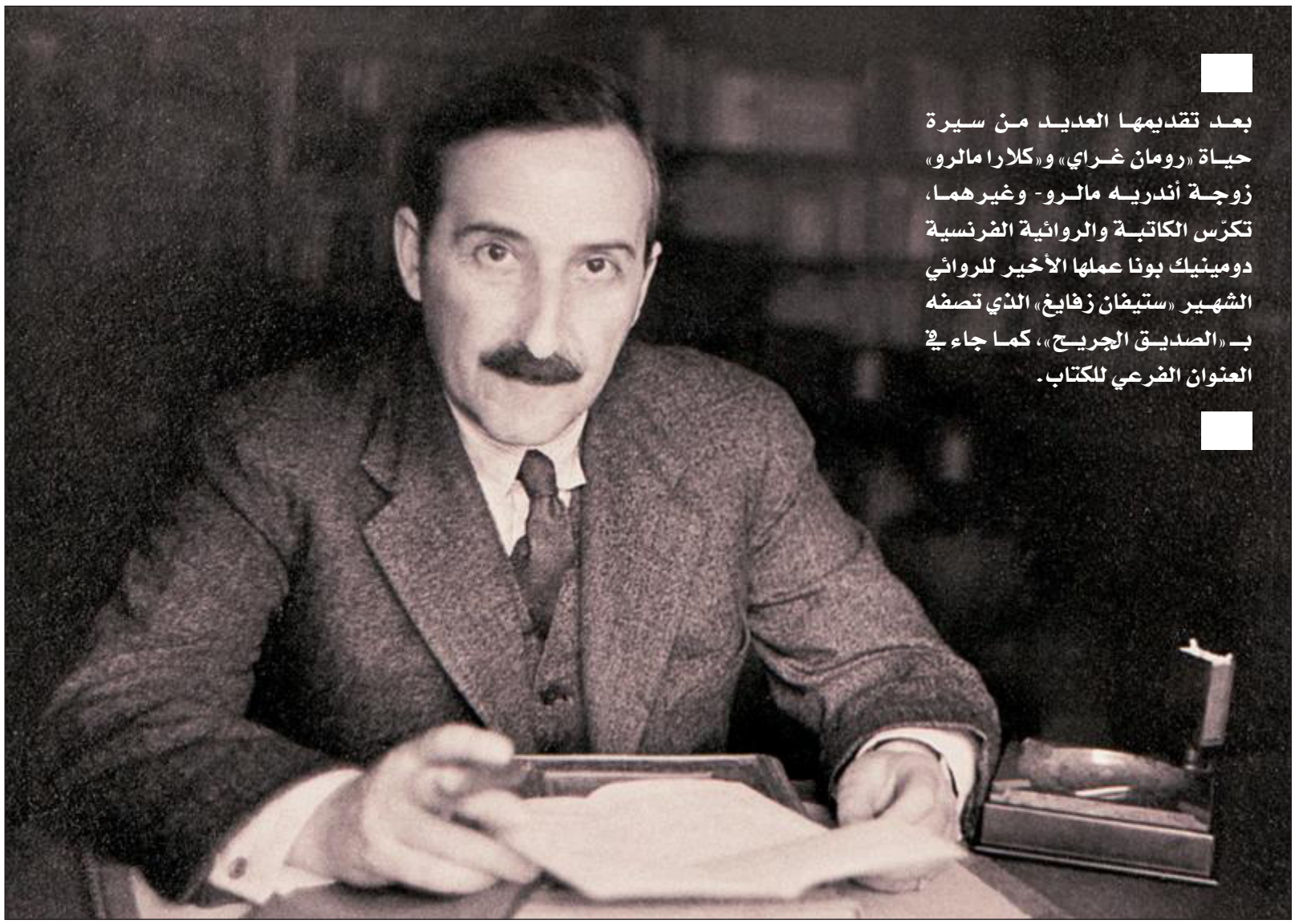

بعـد تقديمهـا العديـد مـن سـيرة حيـاة «رومان غـراي» و«كلارا مالرو» زوجـة أندريـه مالـرو- وغيرهمـا، تكرّس الكاتبـة والروائية الفرنسية دومينيك بونا عملها الأخير للروائي الشهـير «ستيفان زفايغ» الذي تصفه بـ «الصديـق الجريـح»، كمـا جاء في العنوان الفرعي للكتاب.

سـتيفان زفايـج.. الصديـق الجريـح

«ستيفان زفايج»، كما تقدم المؤلفة المحطات الرئيسية في حياته، هـو كاتب نمساوي من مواليد فيينا عام ١٨٨١ ومات منتحرا في البرازيل عـام ١٩٤٢. وتصفه قبل كل شيء بأنـه الممثل الأكبر للأدب النمساوي حيث جسّد بامتيـاز «صخـب» الحيـاة الأدبيـة في العاصمـة النمساويـة فيينـا خـلال فـترة مـا بـين الحربـين العالميتين الأولى والثانية.

ما يتّفق حولـه النقاد والمعلقون عامة هو أن ستيفـان زفايـج يمثل ظاهـرة حقيقية في الأدب ذلـك أنـه استطـاع أن يحافـظ علـى مكانتـه في الصفـوف الأولى بـين الأدبـاء الذيـن يقرأهـم الملايـين. وتقول المؤلفة: «هناك سر عنوانه ستيفان زفايج، وقد حـررت هذا الكتاب مـن أجل محاولة الكشف عن خفاياه».

لقد استطاع زفايج وهو «الكتوم والمتحفظ أن يشعـل نارا لدى شخوص رواياته وأن يجعـل قارئيـه يشعـرون بحـرارة هـذه النـار»، تضيـف المؤلفـة في مـكان آخـر. تكتـب: «أصول هذه النـار هي التي أردت البحث عنها في محطات حياته».

وفي بحـث المؤلفـة عـن «سرزفايج» وعن «أصـول النـار التـي أشعلهـا»، ذهبـت للتقصي في فيينـا وفي سالزبورغ، حيث أمضـى شطـرا مـن حياتـه، في محاولـة لفهـم «العلاقـة المعقّـدة التي يمتـزج فيها الحب والكره» حيـال النمسا. كذلك دفعت بهـا تحرياتهـا إلى «بيتروبوليس» في البرازيـل حيـث انتحر هـو وزوجته معا على خلفية «حالة من اليأس».

كان زفايـج أثنـاء حياتـه محـطّ اهتمـام النخب في أوروبا. لكنه نجح في استئثار اهتمـام الجمهـور العريـض اليـوم حيث لم يصبـح في عداد «أولئـك الكتّاب نصف المنسيين ممن عاصروه» كما تكتب المؤلفة وتضيف: «زفايغ يشعّ دائما».

ولا يـزال يجـذب الآخريـن ولا يزالـون يحبّـون أسلوبـه السريـع والواثـق وحساسيتـه لا تـزال زاخـرة بالحيـاة».

وتـرى المؤلفة أيضـا أن هنـاك سببا آخر لاستمرار الاهتمام بأعمال ستيفان زفايج وهـو أن «الظلال الخفيفة وسحب الدخان المتناثـرة في أعماله ربما تتناظر جيّدا مع أشكال قلقنا وأشكال عذاباتنا الحاضرة».

الملامـح الأساسيـة التـي تقدمهـا المؤلفة لشخصيـة زفايـج هـو أنـه كان كريما في الصداقة ومسالما ثم ملتزما في السياسة.

لكـن الأحـداث المأساويـة التـي ارتبطت بنشوب الحربين العالميتين «أرغمته» على أن يتخذ موقفا. وكان موقفه هو «الانتحار مع زوجتـه» بنفس اللحظة احتجاجا على الحـرب. تتم الإشارة هنـا إلى أن امرأتين كان لهمـا مكانـة خاصـة في حياتـه همـا زوجتـه «فريديريـك» وسكرتيرتـه «لـوت التمان»، التي غدت زوجته الثانية ورافقته حتى آخر يوم من عمره.

لكـن مـا تكشف عنه المؤلفة هـو أن زفايج الـذي كان يظهـر للجميع أنـه «رجل زاهد وجـدّي»، إنما كان بـ «حاجة» طوال حياته لـ «مغامرات قد تدوم ساعات أو شهور».

تتـم الإشـارة إلى أن زوجتـه الأولى فريديريـك «تعبت» مـن «متطلباتـه» ومن «مغامراتـه العاطفيـة» وانفصـلا في عـام ١٩٣٢ وكانـت قد هربـت إلى باريس عام ١٩٣٨ تاركة خلفها عـددا من المخطوطات التي وضع النازيون يدهم عليها.

أمـا زوجتـه الثانية «لـوت التمـان»، فإن «قربها من كل ما كان يحبه، هو الذي أيقظ غريـزة الحب عنـده»، كما تكتـب المؤلفة. وتشـرح أن هذه «المعجبة الأبدية» حاولت عبثـا أن تثنيـه عـن الانتحـار ودفـع بهـا إخلاصها له إلى الموت بجانبه، ومشاركته رفضه للحرب.

وكان زفايـج قبـل وصـول هتلر والحزب النـازي إلى السلطـة في ألمانيا، قد اضطر لمغـادرة النمسـا عـام ١٩٣٤ كـي يعيش متنقـلا من فرنسا إلى انكلترا ثم الولايات المتحدة قبل أن يستقر نهائيا في البرازيل حيث «بدا له أنه ربمـا يستطيع أن يعيش سعيـدا بعيدا عن ضوضـاء الحرب». لكن «نزعته السلمية» كما تـرى المؤلفة، منعته مـن تحمل ذلـك «النـزوع الحيـواني لدى البشر».

وفي مواجهـة ذلـك، واحتجاجا عليه، قام بـكل «هـدوء وصفـاء» بتنظيـم انتحـاره برفقـة «لـوت». ولم ينس أن يقـول وداعا لأصدقائـه ولأسرتـه وأن يكتـب كذلـك وصيته.

وتنقـل المؤلفـة عنـه كتابتـه لفريديريك، زوجتـه الأولى، الـذي حافـظ معهـا على صداقـة عميقـة، ما مفـاده: «أكتب لك هذه الرسالـة وأنـا في السـاعـات الأخـيرة مـن حياتـي. لا تتصـوري كـم أنـا أحس بالسعادة بعد اتخاذي هذا القرار».

لقـد احتسى ستيفـان زفايـج كمية كبيرة قاتلـة مـن «الفيرونـال» واستلقـى علـى فراشه، ثم التحقت به «لوت»، وهي بثوب الحمـام، وفعلـت الشـيء نفسـه. لم يفهم أصدقـاء زفايـج فعلتـه. وأعلـن صديقـه توماس مان موقفا ناقدا بشدة لها متهما الراحل بـ «الأنانية».

وسـيرة حيـاة كاتـب يحظـى باهتمـام الجميـع، ويشيـدون بالتزامـه وبمواقفه العامـة، علمـا أن المؤلفـة تؤكـد أن جميع أعمـال ستيفـان زفايج، باستثنـاء «لاعب الشطـرنج» بعيـدة عن السياسـة. وتؤكد أن وضعه حدا لحياته «منتحرا» احتجاجا على الحـرب وعلى النازيـة أعطاه الكثير مـن الصدقية عبر التطابق بـين ما فكر به وما فعله.

الكتاب:
ستيفـان زفايـغ، الصديـق الجريح
تأليف: دومينيك بونا
الناشر: (غراسيه) باريس

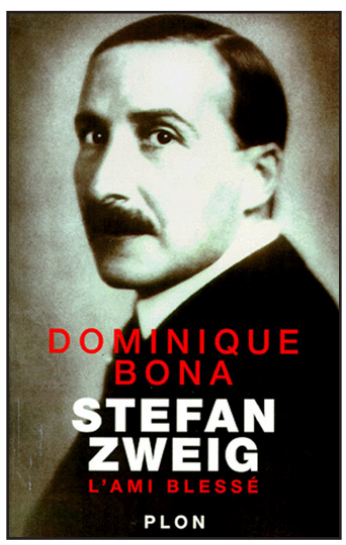

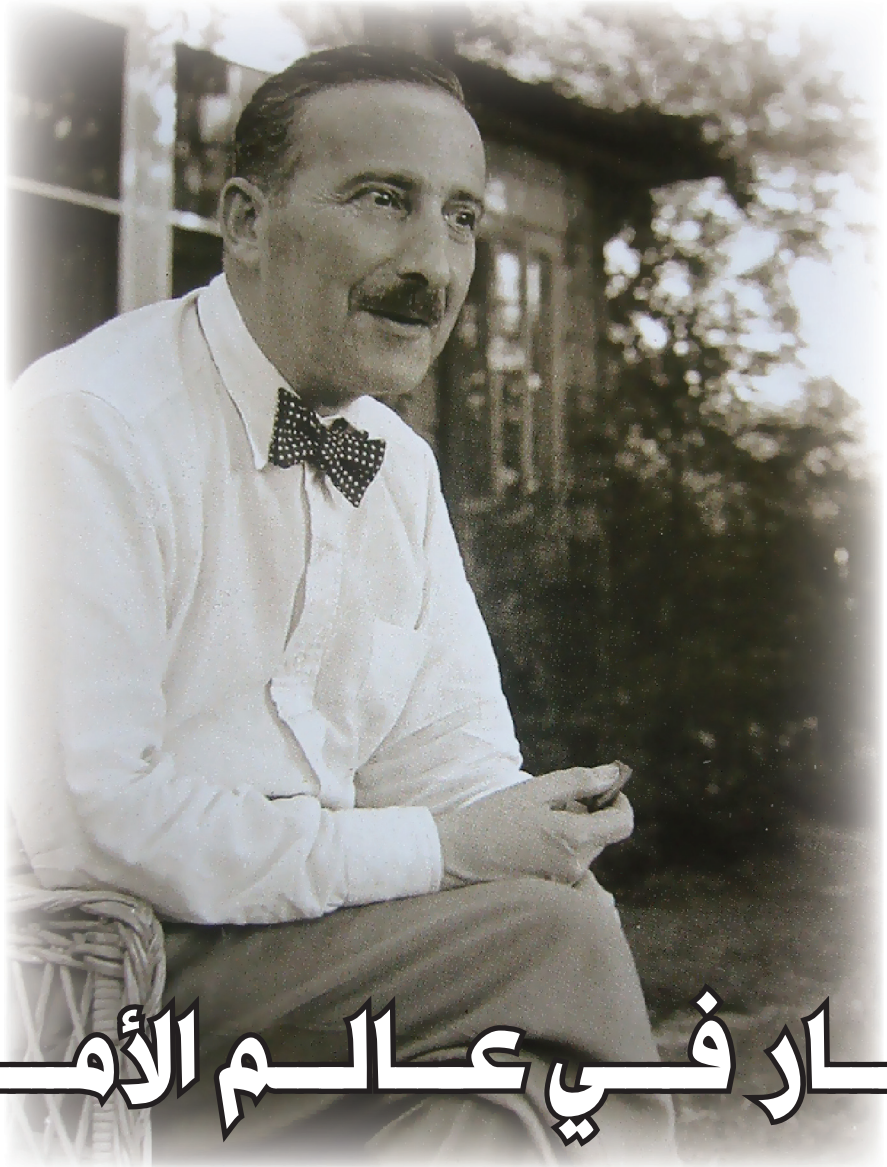

ذلك الانهيار في عالم الأمس

لستيفان زفايج

دوّن ستيفان زفايج مذكراته الموسومة (عالم الأمس) في لحظة حرجة من تاريخه الشخصي وتاريخ العالم. ففي مطلع الأربعينيات من القرن الماضي كانت الحرب العالمية الثانية في أوج احتدامها، فيما كان هو في البرازيل يخطط للانتحار مع زوجته. وبدا كما لو أن كتابه، هذا الأخير، كان بياناً ختامياً مؤسياً لحياة لم تسر على ما يرام. وقد حاول بحرص شديد أن يبقي على اتزان ذهنه، وصفاء ذاكرته، وهدوء نفسه، وهو يتصدى للكتابة عن ستة عقود شهد أحداثها، لا سيما في أوروبا، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، وحتى ساعة انتحاره في منفاه بمدينة بتروبوليس البرازيلية في العام ١٩٤٢. حيث جرت وقائع حربين عالميتين طاحنتين. وصعدت في غضون ذلك حركات سياسية كبرى متصارعة كالشيوعية والفاشية والنازية، ومعها رأت النور مدارس وفلسفات الحداثة في حقول الأدب والفن والفكر. فيما تغير الواقع الجيو سياسي للقارة العجوز تحت وطأة الصراعات والمؤامرات والحروب. وما أراد زفايج نقله للقراء في نهاية الأمر ليس تفاصيل سيرته الذاتية وحسب، وإنما رؤيته لتحولات عصره، بعدّه شاهداً من طراز فريد، على ما جرى حقاً في تلك الحقبة العاصفة. فكتاب (عالم الأمس/ ترجمة: عارف حديفة.. دار المدى. دمشق/ ٢٠٠٧) هو شهادة يعتد بها عن جيله وزمنه، أدلى بها وكأنه يرمي إلى التخفف من عبء باهظ يثقل كاهله، وقبل أن يضع حداً، باختياره الحر، لحياته، في منفاه البعيد. ومن يقرأ الكتاب برؤية يدرك أي قدر من المرارة والغضب كانت روحه تنطوي عليه، وكم عانى من أجل ألاّ تظهر بين سطوره تلك المرارة وذلك الغضب، بالحدّة التي كان يشعر بها في أعماقه.

سعد محمد رحيم

يصف تسفايج الفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى بـ (عصر الأمن الذهبي) إذ نسي العالم الغربي العنف والمواجهات المسلحة، أو كاد. وانشغل بالثقافة والمتع الحسية واقتناص فرح الحياة. أما "فينا" التي ولد وعاش فيها شطراً عريضاً من حياته، فكانت مدينة زاهية، مرهفة الذوق، سخية، تبحث عن المسرّات، تتعصب للفن، وتهيم بالثقافة.. يقول: "ولكن ما الثقافة إنْ لم تكن مخاتلة الحياة المادية الفظة، والحصول منها على الفن والحب، أرق ما فيها، وأبدعه، وأكثره سحراً وغموضاً". هناك حيث "الموسيقا، والرقص، والمسرح، والمحادثة، والسلوك المدني اللائق كانت مرعية باعتبارها فنوناً شخصية".

كانت تلك حياة برجوازية بطرة، ملونة ومموسقة. وعن ذاك يخبرنا أن كل من عاش في "فينا" كان يستشعر الإيقاع في الهواء، "وكما لو أن هذه الملكة الموسيقية قد عبّرنا عنها، نحن الكتّاب، في نثرنا المكتوب بكل عناية. فإن الإحساس بالإيقاع قد دخل في سلوك الآخرين الاجتماعي وحياتهم اليومية". كان تسفايج، يومها، (ومعه برجوازية أوروبا) بعيداً جداً عن محن الجهة الأخرى من العالم. أقصد: عالم الشرق والجنوب. ولم تكن قضية الاستعمار قد هيمنت على المناخ الفكري والسياسي مثلما سيحصل بعد الحرب الثانية.

لم يكن من بين برجوازيي ومثقفي ذلك الزمن من يفكر بالحرب والخراب، وكأن الحرب لم تكن سوى ظاهرة تخص العصور السالفة الهمجية، والجاهلة، والعمياء التي لم تكن قد اكتشفت فتنة الحياة بعد. كان ذلك الوهم يستحوذ على العقول، ويولّد نوعاً ما الحس السياسي الواقعي السليم، فيما شبح الحرب يتسلل خفية، والناس غافلون، إلى شوارع أوروبا الخلفية، ويحوك شبكته المميتة في أقبية السياسة والمصالح الهوجاء.. كانت شهوة السلطة، كما هو شأنها في كل زمان ومكان، تحفر عميقاً، ومن دون حساب للثمن الإنساني الفادح، تحت السطح البراق، للإطاحة بما هو قائم وتدميره.

تحدر تسفايج من عائلة يهودية موسرة، وعاش طفولة ومراهقة آمنتين. أما بيئته فكانت محافظة، عموماً، لها تقاليدها الصارمة، لاسيما في مجال العلاقات العاطفية بين الجنسين. وعلى الرغم من إقباله المحموم، مبكراً، على تثقيف ذاته، إلاّ أنه كان متذمراً من مدرسته الثانوية بمناهجها المتحجرة، وقوانينها الصارمة: "كانت المدرسة بالنسبة لنا إكراهاً، وبرماً، وانقباضاً، مكاناً نضطر فيه إلى (تعلّم ما لا يستحق التعلم) بمقادير دقيقة". وقد فهم، ولكن بعد حين، أن هذا الأمر كان مقصوداً حيث تخشى السلطات الشباب وشغفهم بالتغيير والتحولات السريعة، ولا تثق

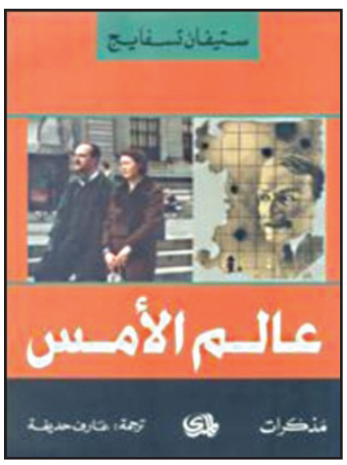

بهم. فرسالة تلك المدارس، كما يقول: "لم تكن، في الحقيقة، تسهم في تقدمنا، بل في تأخير نموّنا، وألاّ تصوغنا من الداخل، بل أن تعدّنا بأقل ما يمكن من التعارض مع الخطة المرسومة، وألاّ تزيد مقدراتنا، بل أن تخضعها للتحكم وتسطحها". وكذلك، لم تكن الدراسة في الجامعة مغرية له.. لم يجذبه أي فرع، أو أي أستاذ. وكان قد مُنح الحرية كاملة، من قبل عائلته، في أن يختار مجال تخصصه، بيد أن طريقة التعلم والاختصاصات كلها لم تكن لتشبع نهم شخص له طبيعته وميله إلى الإنتاج الإبداعي. وأخيراً اتجه نحو دراسة الفلسفة، لا تلبية لنداء داخلي، وإنما لأنها النوع الأقل إزعاجاً له. وفي هذا الوقت أضحى يكتب القصائد وينشرها في الصحف والمجلات، حتى جاءته اللحظة السعيدة حين وافقت دار نشر كبرى على طبع مجموعته الشعرية الأولى. وكانت المفاجأة لمّا طلب منه الموسيقار الشهير ماكس رجنر تلحين ست من قصائدها.. يقول: "إن أشعاري المهملة منذ عهد بعيد قد حملتها عبر الزمن موسيقا فنان كبير".

أتاحت له شهرته التعرّف على أهم شعراء عصره وكتّابه وفنانيه. وهرباً من عقدة الأمان التي زرعها فيه يسر حياته وغناها المادي فقد مال بروحه نحو أولئك الذين تُطلق عليهم تسمية الأفراد ذوي القلوب الوقّادة، الذين هم بلا هدف، ويبددون ويزدرون كل شيء. وهذا ما جعله مفتوناً بالغرائب. وفيما بعد راح ينزع نحو رسم الطبائع العنيفة الجامحة في قصصه ورواياته.

وفي باريس، في أوج سني فتوته وشبابه جال في الشوارع بحثاً عن "باريس هنري الرابع، ولويس الرابع عشر، ونابليون والثورة، عن باريس ريتيف دولا بريتون، وبلزاك، وزولا، وشارل.لويس فيليب، بكل شوارعها وشخصياتها وأحداثها". التقى أدباء كبار، وتنقل بين المسارح ومعارض التشكيل وقاعات الموسيقى، وارتشف بلذة قصوى من منابع الفنون.. دخل مرسم رودان، وألفى نفسه غير قادر على الكلام وهو يقف بين تماثيله، وكأنه أحدها، كما يصف لنا. كان مرتبكاً، روحه ترتعش في حضرة الفن الملهم، الحقيقي. وودّ لو يقبّل يد ذلك الفنان الكبير بعدما بقي يراقبه لساعة وهو يرسم في محترفه: "لقد رأيت في تلك الساعة السر الخالد لكل فن عظيم". وصارت أوروبا كلها فضاءه الروحي والإبداعي.. ذهب إلى إيطاليا وإنكلترا وبلجيكا وهولندا وغيرها من البلدان، جاعلاً من شقة له في "فينا" مجرد موطئ ومرسى، يعود إليها من أجل الراحة والانطلاق ثانية فيما بعد. ولكن، من الغريب، في هذه الآونة، أن يطغى عليه إحساس بأن كل شيء حوله مؤقت، وإلى زوال. ولذا لم يرتبط بقوة بأي مكان. ذلك الإحساس سيعينه في مواجهة الصدمات بعد سنوات قليلة حين يشرع ذلك العالم الآمن والمترف والمسالم حوله، ومثلما يبدو في ظاهره، بالانهيار بفعل وحش الحرب.

كانت رؤيته آنذاك إلى كل مكان يزوره رومانسية حالمة. وقد رأى في أمريكا التي عبر المحيط إليها بأنها "والت وايتمان، وأرض الإيقاع الجديد، وعالم الأخاء القادم". ويبدو أن روحه المترعة بالشعر والموسيقى والألوان كانت تعجز في ذلك الوقت عن تحسس دبيب الخطر القاتل الذي يسري تحت جلد العالم الغربي

برمتـه.. لم يفهـم لمـاذا كانـت علـى أوروبا أن تذهـب إلى جحيـم الحـرب وتنتحـر. وتفسيره الذي يعطيه يجانب واقع الحال، حيـث يتصـادم المصالح ويستعـر الصراع مـن أجل السيطرة على مصـادر الثروة في المستعمـرات، وحيث تبحث كل دولة قومية رأسمالية عن مناطق نفوذ أكبر على حساب منافسيهـا، وحيث يعمي الجشـع والغرور والتعصب نفوس بعض الناس.

يكتفـي تسفايـج بالتلميـح إلى أن كل دولة شعـرت "بأنها قوية على حين غرة، ونسيت أن كل دولـة أخـرى شعـرت بالشـيء ذاته، وأرادت المزيـد، وأرادت شيئـاً مـن الـدول الأخـرى". وآمن مع أبناء جيله من المثقفين البرجوازيين بأن همس العقل سوف يُسكت صوت الجنون في اللحظة الأخيرة، غير أن ذلك الصوت كان من العتـو والوحشية إلى الحـد الـذي أطـاح بالعقـل، ليفتـك، من ثم، بالبشر والعمران.

ومن واديهم السحري وثق المثقفون أولئك، ومنهم تسفايج، بالعالم والأدب. وتصوروا أن أعمـالاً فنيـة وأدبيـة رفيعـة يمكنهـا أن تُعيـد المهووسـين بالحـرب إلى رشدهـم. "وفي ساعـات الحماسة العديـدة توهّمنا أننـا رسمنـا طريق الخلاص للعـالم. ولكن العـالم قلّمـا همتّـه تلـك التجليـات الأدبية، ومضـى في سبيلـه المشـؤوم". وغـادر الشبـان إلى الحرب بجـذل، وبكراهية غير مفهومـة للآخر/ العدو. غير أنهم سرعان ما اكتشفوا أن الحرب أبعد ما تكون عن النزهة ورومانسية البطولة مثلما تخيلوها، بعدما تناثـرت الجثـث في الخنـادق وتعفنـت، وامتلأت المدن الخربة بالمعاقين والمتشردين والجوعـى، وسار الجميـع في درب الآلام. وكان أشـد ما يضايق تسفايـج هو أن كثراً مـن أصدقائـه الحميميـن ينتمـون إلى تلك البلدان التي تحاربها بلاده. وفي سويسرا سيـزور رومـان رولان الفرنسي في غرفته الصغـيرة: "كنـت مـدركاً أن الصديق الذي أواجهه أهم رجـل في ذلك الوقت العصيب، وأن ضمـير أوروبـا الأخلاقـي كان يتكلـم من خلاله".

انتهـت الحـرب العالميـة الأولى، وهُزمـت ألمانيـا، ومعهـا بـلاده النمسـا، فعـاد إليها وقـد احتشـد في العاصمـة وحدهـا مليونا جائـع وبـردان. وإذاك شعـر بمسؤوليته الأخلاقيـة في أن يجعـل مـن فنـه وسيلـة لتجاوز الهزيمة. وهنـا يبدأ بسرد تفاصيل ذلك الكفاح المرير الـذي خاضه أبناء جلدته مـن أجل الحيـاة والحريـة. وكان رد الفعل هائـلاً علـى العالم القـديم وتقاليـده ومثله الزائفـة. ورغب الجيل الجديد بالتمرد على كل ما يمت بصلة إلى الماضي، وصياغة قدره الخاص، والتحليـق في المستقبل. وتجلى هـذا الأمـر بأوضـح مـا يكـون في ميادين الفنـون والآداب "فقـد أعلـن الرسامـون الجدد أن كل ما أبدعه رمبرانت، وهولباين، وفيلاسكويـز قد انتهى أمـره، وشرعوا في أكثر التجارب التكعيبية والسريالية إغراباً وخياليـة. ففـي كل شـيء أقصـى العنصر المفهـوم: اللحـن في الموسيقـا، والشبه في اللوحات، والوضوح في اللغة".

عاشـت بـلاده النمسـا أسـوأ سنواتها بعد الحـرب، نفسيـاً بشعورهـا بعـار الهزيمـة والـذل، واقتصاديـاً بشيـوع التضخـم والبطالـة والفقـر والخـراب، وسياسيـاً بتقلص مساحـة الإمبراطوريـة وفقدانها هيبتهـا. وعلـى الرغـم من مرور مـا يقارب العقـد (١٩٢٤-١٩٣٣) مـن السلام، قبل أن يجلب الفوضى لأوروبا والعالم ذلك الرجل الذي اسمه هتلر. فألمانيا المجاورة، بشعبها المنضبـط وروحها العسكرية، والتي نعمت بالحريـة أخـيراً، لم تعرف مـاذا تفعل بهذه النعمة، ولهـذا سلّمت زمـام مصيرها ثانية لمن يريدون سلب تلك النعمة/ الحرية منها. وهكـذا كان. وما سعّر حقـد الألمان وجعلهم يتقبلـون هتلـر بحماس هـو التضخم كما يقول تسفايج. هتلر الذي استطاع بمكره أن يخدع الجميع ويمهّد للفوضى القادمة. "إن هتلـر لم ينجز شيئاً أبرع مـن هذه الطريقة في تلمس طريقـه علـى مهلـه، والضغـط المتواصـل، مـع تزايـد القوة، علـى أوروبا التـي كانت متضائلـة أخلاقياً، ثـم عسكرياً أيضـاً". ونُفذت الخطـة الجهنمية: عسكرة المجتمـع، وبنـاء الدولـة البوليسية، وزرع الخوف في النفوس، وقمع الحريات بأشد الوسائـل قسوة، وإحـراق الكتب وإعدامها قبـل الإقـدام علـى تصفيـة المعارضـين من البشر.

"وهنـاك كانـوا يثبتون الكتـب بالمسامير علـى آلـة التشهـير الخشبيـة علـى عـادة الألمـان القدمـاء... وقـد حصلـت أنـا علـى نسخـة أحـد كتبي مثقبـة بالمسامـير هدية من طالب صديق كان قد استردها بعد تنفيذ حكم الإعدام بها".

تواصل تسفايج، في الفترة ما بين الحربين، مـع كتّاب وفنـاني ومفكـري عصره الكبار.. منهم الروائي مكسيـم غوركي، والموسيقي شتراوس، والرسـام سلفادور دالي، وعالم النفـس الأشهـر فرويد. وظلت سـوق كتبه رائجـة، تباع منها مئات آلاف النسخ، وهذا ما أزعج هتلر شخصياً، فسجل تسفايج هذا الأمر كشيء سار في حياته. وكان في قرارته يحدس بالكارثة التي تلوح نذرها. "بدا لي أن أوروبـا يحكـم عليهـا جنونهـا بالموت، أوروبـا موطننـا المقدس، مهـد حضارتنا العارضة وهيكل آلهتها". وكان محتّماً عليه أن يبـدأ رحلة الهجـرة والتشرد ثانية، وأن يواجه نظرات الحقـد والريبة من مواطني البلـدان الأخرى لأنه ينتمـي إلى الأمة التي تحاربهم. ويصف بدقـة مؤلمة حالة المهاجر والمنفـي الشعوريـة، هـو المواطـن العالمي مثلمـا يصف نفسه، إذ "يأخذ احترام الذات بالتضاؤل، وكذلك الثقة بالنفس... لقد دُمِّر إلى الأبـد تطابقي الطبيعي مـع أصل ذاتي وجوهرهـا... واستحـوذ عليّ شعـور بأن عليّ أن أعـبّر عـن امتنـاني عـن كل نسمة أحرم منها شعباً أجنبياً". وعلى الرغم من أنـه كان مؤمنـاً بـأن العـالم سيتخطى هذه المحنـة الرهيبة، ولكن أنهكه، وأرهق ذهنه، تسـاؤل مـؤداه: كم مطهِّر وكـم جحيم على ذلك العالم اجتيازه قبل ذلك؟.

في ١٥ آب ١٩٤١ رحـل إلى البرازيـل مـع زوجتـه إليزابث شارلـوت زفايج، وفي ٢٣ شباط ١٩٤٢ انتحرا معاً بعد أن كتب رسالة شكر للبرازيل الكريمة التي وفّرت له أسباب الراحـة.. يقـول في نهايـة رسالتـه تلك: "تحياتـي إلى كل أصدقائي عسى أن تتسنى لهم رؤية الفجر بعد هذا الليل الطويل! وها أنا أتقدمهم، وقد فرغ صبري تماماً".

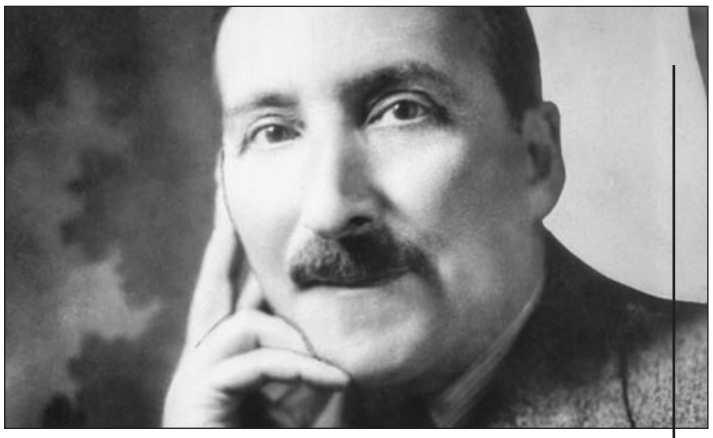

سـاعات القـدر فـي تاريخ البشرية

خالص جلبي

كتب العقاد ساعات بين الكتب فأجاد. واتبعت مكتبة الملك عبد العزيز تقليدا جميلا في استدعاء المثقفين لرواية تجربتهم مع الكتاب، وعلى المرء أن يتبع تقليدا مثمرا في حياتـه، ألا يمـر عليه أسبوع إلا وقرأ كتابا، واطلـع على موضوع مثير، وهذا يعنـي أن يزور المكتبـات كما يزور الناس أيكيا للمفروشـات، والمولات للتسـوق والانتفاخ بالهامبورجر والآيس كريم.

وتضييـع الوقـت سهل، ومن الصعب علـى شعب ثرثار التنبه لوقـع أقدام الوقت الهارب. وأعظم رأسمال هو الوقت. وهو عند البعض يعني المال، ولكنه أعظم من المال فهو رصيد الجنة أو النار.

والإنسان كمعادلة هو مجموع لحظات الجهد الواعي، مع ملاحظة الاستجمام بين لحظـات الإنتاج، وليس العكس فتكون الحياة كسلا وبطرا وغيبة وأكلا وجماعا، مع لحظات نادرة للنمو المعرفي، فهذه هي حياة الكافرين، الذين يتمتعون ويلهيهم الأمل ويأكلون كما تأكل الأنعام.

وأنـا أعرف ضعف المكتبات ونـدرة الكتب الجيدة، وأزعـم لنفسي أنني اصطدت خـلال أربعـين سنة من حياتـي ٤٠٠ كتاب، يمكـن أن توصل الإنسـان إلى سدرة المنتهى في التحصيل العلمي، الذي ليس له سقف وقرار وعمق، وفوق كل ذي علم عليم، ولكنها جزر في محيط لا شواطئ له.

وفي هـذا الأسبوع انتهيت من كتاب (ساعات القـدر في تاريخ البشرية) للروائي النمساوي ستيفان زفايج، واطلعت على كتاب (كيف تقرأ كتابا) لفان دورن وآدلر، وكذلـك (ينبوع الشباب) لروبرت سيباستيـان، وكلها كتب رائعة ينصح بالاطلاع عليها لمن عنده صبر القراءة.

كتاب زيفايج ١٤ محطة في التاريخ الإنساني، يزعم فيها الروائي أن تاريخ الجنس البشـري فيـه تغير وحسم، وهو ينهج نفس نهج كتاب سبع معارك فاصلة، أو ذلك الـذي صنـف أهم مائة وسبعة عشرين كتابا في تاريـخ العقل، أو (مايكل هاردت) الفلكـي الأمريكي الذي سرق كتابه كاتب عربي، ورصع اسمه عليه، بعنوان المائة الأعظم في تاريخ البشر أولهم محمد ص، ووضع الثاني إسحاق نيوتن.

ونحن نفخر بالأول، ولكن الثاني تحكم؟

وزيفايـج يذكـر قصصا عجيبة عن باب منسي (كـيركا بورتا) في السور الداخلي سمح للعثمانيين بولوج سور القسطنطينية.

وأعظم شعر كتبه جوتة من لحظة قبلة من أولريكه فون فولستوف بنت ١٩ ربيعا وهـو ابن ٧٤ عاما، وشيشرون أبـو الجمهورية كيف أضاع اللحظة الخالدة، بعد مقتل قيصر في استعادة الجمهورية فدلفت روما للحرب الأهلية.

وودرو ويلسون صاحـب المبادئ الـ ١٤ لعصبة الأمم كيف تمكن منه السياسيون كليمنصـو وأشباهه في ١٥ نيسـان ١٩١٨ في مؤتمر الصلح في باريس؛ فذهبت مبادئـه أدراج الرياح، وسلم الراين والألزاس لذئـاب السياسية الفرنسيين ففتح الباب للحرب العالمية الثانية.

وكيـف ضاعـت واترلو مـن يد نابليـون، بحماقة الجـنرال غروشي الـذي أضاع الفرصـة الخالـدة بالاتباع الحـرفي للأوامـر؛ فضـاع في غابـات بوهيميا خلف الجيـش البروسيـي المهـزوم مطـاردا، والألمان كانـوا في واترلو مـع ولنجتون يطحنـون ناي ونابليون والجراند أرمـي الجيش العظيم. وبطل اكتشاف القطب الجنوبـي سكوت وهو يخط الأسطـر الأخيرة لزوجته ويقول زوجتي ثم يشطب ويقول أرملتي فقد وصلوا القطب ولكن أمواتا؟

وكذلـك قصة مـد كابل التلغراف بـين أوربا وأمريكا، في ملحمـة من أعظم ملاحم العلـم والتقنيـات، على يـد سايروس فيلـد، والفشل المتكرر الـذي لا يحطم إرادة العظماء؟

وقصـة الغربال المشئوم في كاليفورنيا، حين اكتشف الذهب في أرض سوتر؛ فلم تبـق أرضا ومات فقيرا، وهـو يمتلك إمبراطورية من الذهـب الخالص ولكن بيد الحرامية وليس بيده؟

أتاحت له شهرته التعرّف على أهـم شعـراء عصره وكتّابـه وفنانيـه. وهرباً مـن عقـدة الأمـان التـي زرعهـا فيـه يسـر حياته وغناهـا المـادي فقـد مـال بروحه نحو أولئك الذين تُطلـق عليهـم تسميـة الأفـراد ذوي القلـوب الوقّـادة، الذيـن هـم بلا هدف، ويبددون ويزدرون كل شـيء. وهـذا ما جعله مفتونـاً بالغرائـب. وفيما بعـد راح ينزع نحـو رسم الطبائع العنيفة الجامحة في قصصه ورواياته.

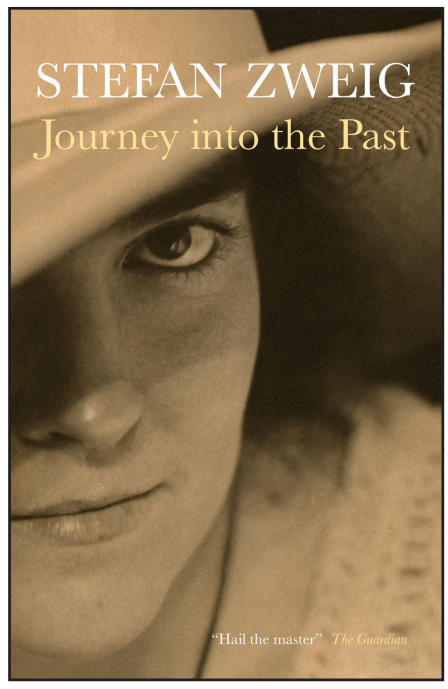

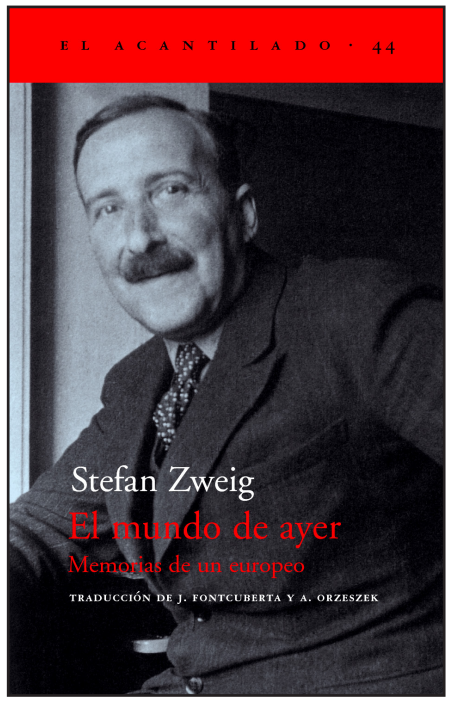

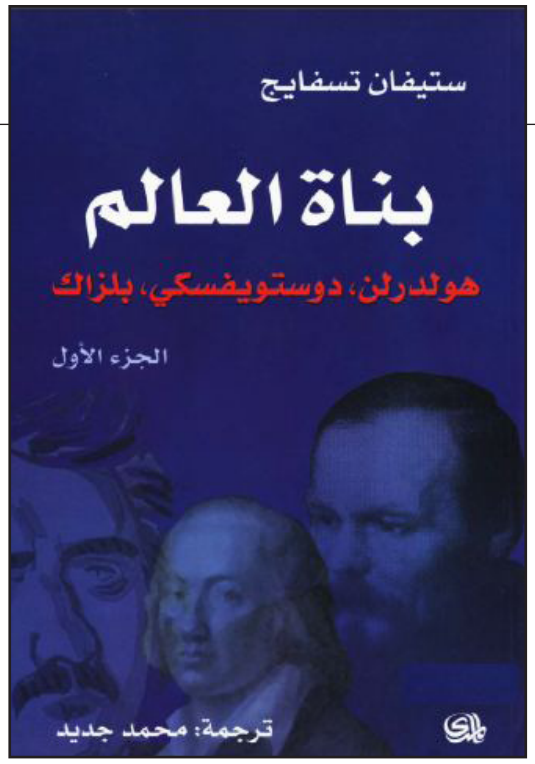

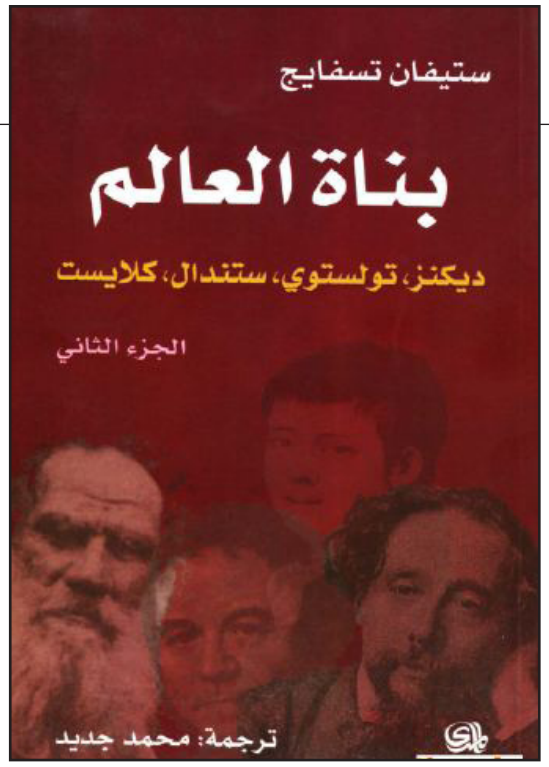

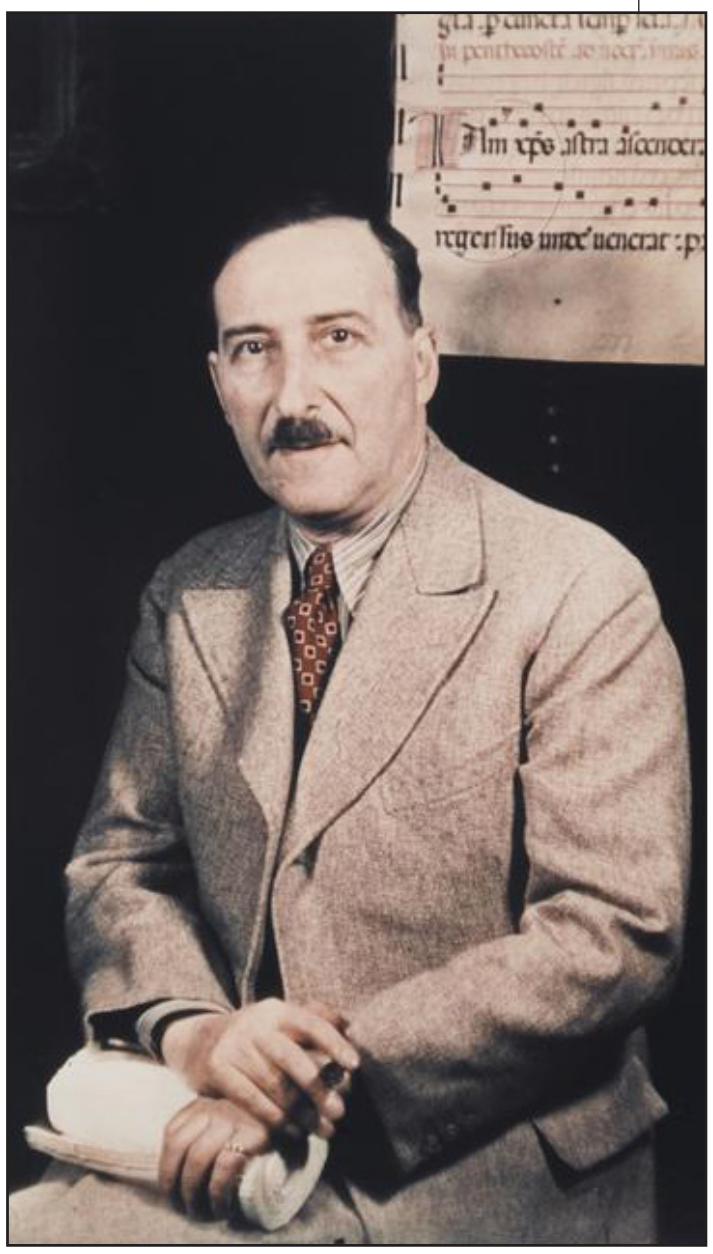

الكاتب والمفكر النمساوي ستيفان زفايج (١٨٨١-١٩٤٢) له شهرة واسعة بكتاباته في شتى المجالات من شعر ورواية وقصة قصيرة ومسرحية، لكن حظيت دراساته التي حاول عبرها سرد تفاصيل حياة عدد كبير من عباقرة العالم باهتمام منقطع النظير كما ترجمت هذه الدراسات الى لغات عالمية مختلفة لابتعاده عن الأسلوب التاريخي أو التوثيق واعتماده على التفسيرات النفسية والسيكولوجية ودراسة الشخصيات التي اختارها بطريقة تعتمد بشكل أساسي على نتاجها الفكري أو الأدبي بطريقة التحليل والاستقصاء والاستقراء وهو الأسلوب الذي امتاز به تسفايج عن غيره من الباحثين،

ومن أهم دراسات زفايج المترجمة للغة العربية مجموعة ترجمها عن اللغة الألمانية الأستاذ محمد جديد ليضعها في كتاب (بناة العام) الذي جاء في جزءين، الأول نشر عام ١٩٧٠ وتناول الشاعر الألماني هولدرلن، والروائي الروسي فيدور دستويفسكي، والروائي والقاص الفرنسي بلزاك، والثاني نشر عام ١٩٩٣ وتناول حياة وأعمال الروائي الانكليزي تشارلز ديكنز والروائي الروسي تولستوي والروائيين الألمانيين ستاندال وكلايست وكلا الجزءين من القطع المتوسط طبعت في دار المدى للثقافة والنشر في دمشق - سوريا.

بنـــاة العالـــم

عرض: زينة الربيعي

والقارئ للكتاب يلاحظ مدى استفادة زفايج من دراسته علم النفس الذي كرسه أيضاً في كتاباته للروايات النفسية، واختلفت أحجام الفصول التي خصصت للمبدعين كل حسب أهميته وطبيعة ابداعه، كما هو الحال مع دستويفسكي وتولستوي اللذين حظيا بمساحة واسعة جداً من حجم الجزءين، كما اعتمد زفايج على أسلوب مبتكر في تعريفه لأبطال دراساته عندما جعلهم يعرفون عن نفسهم عبر اقتباسه لأجزاء صغيرة مما كتبوه ليفتتح بها كل واحد منهم للفصل المخصص له، ليتابع بعدها زفايج الغوص في تفاصيل أعمالهم وابداعاتهم لتتحول فصول كتابه الى مرآة تعكس جميع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية لأوروبا في مراحل مختلفة من القرن التاسع عشر التي تأثر بها أصحاب فصول الكتاب وحولها وأعادوا صياغتها بأسلوبهم الخاص الذي يتعدى جميع الحدود الضيقة ويتحول الى رسالة عالمية تلامس الانسانية جمعاء، هذا ما يؤكده زفايج في مقدمة دراسته عن دستويفسكي حيث يقول: (انه من الأمور الصعبة والتي تزيد المسؤولية أن يتحدث المرء عن فيدور دستويفسكي وأهميته بالنسبة الى عالمنا الداخلي حديثا له قيمة، لأن اتساع مدى هذا الوحيد وجبروته يقتضيان مقياساً جديداً. ذلك لأنه يخيل للمرء للوهلة الأولى أنه يجد عملاً مغلقاً على نفسه، وأنه يجد أديباً، ثم يكتشف شيئاً لا حدود له، كوناً له كواكبه الدوارة الخاصة به وموسيقاه الأخرى التي تتردد في أجوائه)، ويبين الكاتب جانبا اخر من ماساة حياة دوستويفسكي حيث يبين ان الخوف هو الانطباع الاول الذي يتولى المرء دائما اتجاه ديستويفسكي، والانطباع الثاني فحسب هو انطباع العظمة.على ان مصيره ايضا يبدو اول الامر لدى النظرة العابرة قاسيا فظا بمقدار مايبدو محياه فلاحيا وعاديا.ويحس المرء بذلك اول الامر تعذيبا لامعنى له ،ذلك لان هذه السنوات الستين تعذب الجسد المتداعي بكل ادوات التعذيب فمحك المحنة يجلو الحلاوة عن شبابه وعن شيخوخته ومنشار الالم الجسدي يصل في عظامه ومسمار الحرمان الحلزوني يتغلغل فيه بقسوة حتى يبلغ عصب الحياة ،وترتعد اسلاك الاعصاب المشتعلة وتنتفض في غير انقطاع خلال اعضائه،ولم يذخرعذاب ولم ينس تعذيب ويبدو ان هذا المصير اول الامر قسوة لامعنى لها لانه كان يراد ان ينحت منه شيء خالد وانه كان هائلا ليكون ملائما لرجل هائل.ولايشبه طريق حياته في اي نقطة من نقاطه الطريق العريض الممهد تمهيدا جيدا والذي سار عليه كل الادباء الاخرين في القرن التاسع عشر ويحس المرء هنا دائما بألم للقدر غاضب يجد متعة في ان يختبر نفسه اختبار قويا قاسيا مع اقوى الناس فمصير دستزيفسكي مصير مطبوع بطابع العهد القديم من الكتاب المقدس ،مصير بطولي وليس فيه شيء من العصر الحديث والحياة المدنية العادية.

والشخصية الاخرى التي تناولها ستيفان زفايج في دراسته هو هلودرن ويبدأ الفصل بالحديث بمقولة مهمة في" موت امبدوقل" ((لقد كان الليل والبرد خليقين ان يسودا الارضين وكانت الروح خليقة ان تجهز على نفسها لو ان الالهة الخيرة لم تبعث من حين الى اخر بمثل هؤلاء الفتيان، لتنعش حياة الناس الذابلة))

القرن الجديد ،القرن التاسع عشر ،لايحب شبابه فقد نشأ جيل متوقد انه يندفع اندفاعا ناريا جريئا من كل مسارات الريح في وقت

واحد، من جلاميد اوروبا المتصدعة نحو شفق فجر حرية جديدة لقد بعث نفس الثورة الحياة في هؤلاء الفتيان.
وينتهي متحدثا بطريقة لاتخلو من الجمالية والدقة حيث يبين ان الصورة الفكرية تختفي لهولدرن في ركام النسيان اعواما وعقودا كما يختفي تمثال اغريقي في حضن الارض ولكن عندما ينقب عن الفلذة المبتورة اخيرا جهد ينطوي على الحب ويخرجها من الظلام يشعر جيل جديد،وقد تولاه العجب ،بنقاء صورة الفتى المرمرية الذي لا سبيل الى تعكيرهو وبمقاييس رائعة تنصب على صورة فتى الاغريقية الالمانية الاخير مرة اخرى،وتزدهر الحماسة كما كانت بالامس ،على شفته المترنمة،وتبدو كل الاربعة التي يبشر بها على السواء مخلدة في صورته الوحيدة وبجبهة المتنور المشرقة يخرج من موطن حافل بالاسرار عائدا الى عصرنا.

بلزاك

ولد بلزاك عام ١٧٩٩ في التورين،في اقليم الغيض في موطن رابليه المتسم بالمرح والعذوبة.في حزيران ١٧٩٩ ،والتاريخ جدير بان يكرر ،وقد عاد نابليون –وكان العالم الذي بعثت اعماله الاضطراب فيه مازال يسميه بونابرت– في هذه السنة من مصر الى وطنه ،نصف منتصر ونصف هارب.وكان قد قاتل تحت ابراج سماوية اجنبية، امام الشهود الحجريين من الاهرام ،ثم انسل الى سفينة ضئيلة بين سفن نيلسون الحربية المتربصة، متعبا،ليكمل في صلابة عملا بدأ بداية جليلة ،وجمع بعد بضعة ايام من وصوله حفنة من اتباعه ،وطهرالجمعية الوطنية ،وانتزع السيادة على فرنسا لنفسه بقبضة واحدة ،ويعد عام١٧٩٩ ،عام ميلاد بلزاك،بداية الامبراطورية، فالقرن الجديد ماعاد يعرف الجنرال الصغير،وماعاد يعرف المغامر الكورسيكي ، بل غدا لايعرف الا نابليون ،امبراطور فرنسا.
وتمر عشرة اعوام وخمسة عشر عاما –سنوات فتوة بلزاك – ومازالت الايدي المتعطشة الى السلطة تلف نصف اوروبا ،بينما تنتشر احلامه الطامحة بجناحي النسر على العالم كله من الشرق الى الغرب.ولايمكن ان يكون عمره غير ذي شأن بالقياس الى رجل كبلزاك الذي شارك بمعاناة كل شيء بهذه الحدة. ان يتطابق ستة عشرة عاما من النظرات الاولى الى ماحوله من سنوات الامبراطورية الست عشرة؛ سنوات تلك الفترة التي قد تكون احفل فترات تاريخ العالم بالخيال والابداع او ليست المعاناة المبكرة والقدر في الحقيقة مجرد وجهين داخلي وخارجي ،لشيء واحد؟
ولايمكن تناول علمه الفني بنظرة واحدة شاملة.ففي المجلدات الثمانين يقوم عصر،وعالم ،وجيل.ولم تجري من قبل ابدا محاولة واعية لاخراج عمل جبار كهذا ولم تكافأ جراءة ارادة عملاقة مكافاة افضل من هذه.فعمله يهب للمستمتعين المستريحين الذين يبتغون عند المساء،اذ يهربون من عالمهم الضيق ،صورا جديدة واناسا جددا ،وانفعالا ولهوا متغيرا ،لكتاب المسرح مادة لمئا ت الماسي ،وللعلماء فيضا من المشكلات والنقاط الحافزة على التفكير –مبعثرة هنا وهناك مثل فتات مائدة متخم بالطعام–، وللمحبين لهيبا من الوجد انموذجيا بصورة مطلقة. غير ان اكثر مافي عمله جبروتا وشموخا هو التراث الذي تركه للادباء ،ففي تصميم "الكوميديا الانسانية" توجد الى جانب الروايات المكتملة اربعون رواية غير مكتملة وغير مكتوبة احداها رواية موسكو ،وثمة اخرى(سهل فاجرام) وتتناول رواية غيرها القتال من اجل فيينا ،وتتناول اخرى حياة العاطفة ويكاد يكون من حسن الحظ ان هذه الاعمال لم تصل جميعا الى نهاياتها وقد قال بلزاك ذات مرة: "العبقري هو ذلك الذي يستطيع في كل وقت ان يقلب افكاره الى عمل غير ان العبقري الكبير جدا لايمارس هذا النشاط دائما اكثر ماينبغي".
الجزء الثاني من كتاب بناة العالم يتحدث عن مجموعة اخرى من الكتاب يتناولهم تباعا بطريقة طرح مميزة ومثيرة لفضول القارئ للاطلاع بشكل واسع حيث ابتدأ تسيفايج شارلز ديكنز حيث استهل الكلام بالقول "كلا ماكان للمرء ان يسائل الكتب والسير عن مقدار ماكان معاصرو شارلز ديكنز يكنون له من الحب فالحب لايعيش ويتنفس الا في الكلمة المنطوقة ولابد للمرء من ان يلتمس ان يروى له ذلك واحسن مايكون من لدن انكليزي يبلغ بذكريات صباه الى ذلك الزمان الحافل بضروب النجاح الاولى ، من لدن واحد من اولئك الذين لم يستطيعوا حتى بعد ما انقضى الخمسون عاما ان يعقدوا العزم على ان يسموا شالز ديكنز شاعر بكويك باسمه بل مافتئوا يطلقون عليه لقبه الاكثر الفة ولصوقا به البوظ (boz)".
ان ديكنز هو التعبير الادبي الاعلى على التقاليد الانكليزية بين قرن نابليون البطولي،والماضي الحافل بالامجاد والامبريالية، حلم مستقبله ،ولئن كان لم ينجز لنا الا ممتازا وليس شامخا عملاقا، مماندرته له عبقريته من قبل، فلم تكن انكلترا ولاعرقه ذاته هما اللذان عاقاه، بل اللحظة البريئة انها عصر انكلترا فيكتوريا.فديكنز يصف وصفا يبلغ من حدته وعنايته ودقته ان المرء يضطر الى متابعة نظراته التي تنوم مغناطيسيا، لم تكن له نظرات لزاك السحرية التي تدع اناس السحابة النارية يصوغون ذواتهم على نحو فوضوي من خلال التحرر من اهوائهم بل كانت له نظرة ارضية تماما نظرة بحار ،نظرة صياد ، نظرة صقر.
وتحدث الكاتب عن الروسي تولستوي الذي يعد من اعظم الروائيين ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض يعدونه من أعظم الروائيين على الاطلاق.
وذكر الكاتب في كتابه ان كل عمل فني لايبلغ اعلى مراحله الا حين بنسى المرء نشاته الفنية ويحس بحياته واقعا ،وقد اكتمل هذا التبادل عند تولستوي مرارا فلا يجرؤ المرء ابدا على ان يحسب ان هذه الاقاصيص متخيلة وان شخصياتها مخترعة وهي تتقدم نحونا حقيقية محسوسة بهذا القدر وحين يقرأ المرء لايحسب انه فعل شيئا اخر سوى انه راى العالم الواقعي من خلال نافذة مفتوحة.
ويستمر الى نهاية الفصول المخصصة لهذا الروائي العظيم وبعدها يستمر بسرد الحديث النقدي والتحليل عن باقي الكتاب الداخلين ضمن مجلد(بناة العالم) باختيار موفق يدل على نباغة للكاتب.
ويحتوي الغلاف في نهايته على كلمات مضيئة تستدعي الانتباه حيث يكتب" تختفي الصورة الفكرية..في ركام النسيان اعواما وعقودا كما يختفي تمثال اغريقي،ولكن عندما ينقب عن الفلذة المفقودة اخيرا جهد ينطوي على الحب، ويخرجها من الظلام ،يشعر جيل جديد، وقد تولاه العجب بنقاء صورة الفتى المرمرية الذي لاسبيل الى تعكيره.
واستطاع زفايج بأسلوبه اللغوي المتميز الذي عرف عنه المزج بين السرد الروائي واللغة البحثية الجافة ليخرج بدراسات ممتعة ومفيدة، كما ساهمت الترجمة المتقنة التي عمل عليها الأستاذ محمد جديد بتقديم دراسات زفايج بأمانة مع المحافظة على روح النص.

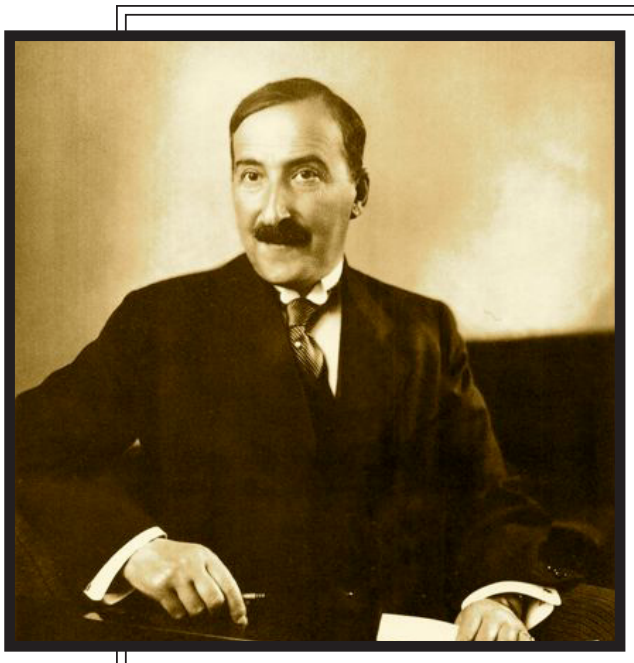

الكتاب: ستيفان زفايج – سيرة حياة
تأليف: اوليفر ماتوجيك
ترجمة: ابتسام عبد الله

ستيفان زفايج.. روايات وشهرة وانتحار

عندما انتحر ستيفان زفايج مع زوجته في البرازيل عام ١٩٤٢، أصبح اشهر كاتب في العالم، وعادة ما تؤدي مثل هذه الاحداث المثيرة الى قمة الشهرة وخاصة في الحقل الأدبي، اجل لقد حدث ذلك، ولكن اسم زفايج سرعان ما اصبح منسيا مع استمرار الحرب العالمية الثانية.
ويفضل كاتب سيرة حياة زفايج ان يدع الاحداث تتحدث عن نفسها، من والدين يهوديين ولكن علمانيين، كان والده ثريا يمتلك طاحونة، وتم رفض زفايج من الخدمة العسكرية لمرضه، ومع ذلك كان يمتلك حيوية متدفقة (وايضا المال)، لحضور كافة المناسبات الأدبية الأوربية، والالتقاء بالمشاهير هناك، ومن بينهم ريلكه وردون في باريس.
كانت اولى أعماله الأدبية المنشورة (مجموعة قصائد) عام ١٩٠١، وسرعان ما اصبح ناجحا في الصحافة والدراسات المتعلقة بسيرة الاشخاص، ومع اندلاع الحرب العالمية، تم تعيينه في قسم الارشيف لوزارة الحرب النمساوية، وعلى الرغم من عمله ذلك، تمكن من الحصول على إجازات للسفر الى سويسرا، حيث كانت آراؤه حول اهمية السلم، تلقى ترحابا كبيرا.
بعد انقضاء الحرب، تزوج من امرأة مطلقة لها ولدان، حيث استقرا بعدئذ في سولزبرغ (دون الاولاد) – وكانت لزفايج علاقات حميمة مع العديد من النساء.
وفي أوائل العشرينات انتشرت شهرة مؤلفاته وكانت تلك المرحلة هي الذهبية في حياته، وارتفعت ارقام مبيعات رواياته، وكانت كل واحدة تنفذ في خلال اسبوع واحد (كانت كتاباته مثيرة وعاطفية، واسلوبها ساخر، وهو الاسلوب الذي اشتهر به.
ولكن العداء لليهودية والهجوم عليها سرعان ما حل في الثلاثينات، وبدأت الاتهامات توجه إلى زفايج لعدم كتابته بشكل جيد عن الالمان، وبدأت بعد ذلك عملية، "حرق الكتب"، وفي عام ١٩٣٩، فتش رجال الامن منزله، وكان زفايج قد عاد توا من لندن، فحمل حقائبه عائدا اليها، وتبعته بعد ذلك زوجته – فريدريكا، وفد برر ذلك، بسبب طبع روايته في لندن وهي – حذار من الشفقة، وهذه الرواية حققت له اخيرا، شهرة واسعة في اوربا، وخاصة انكلترا وظهر على شاشة (BBC) عام ١٩٣٧، وكان من أوائل الشخصيات التي ظهرت على شاشة التلفزيون.
وفي بداية الحرب العالمية الثانية تم الطلاق بينه وبين زوجته، ثم تزوج زفايج اثر ذلك بسكرتيرته لوت النمان – الألمانية المولد، وقد انتقلا للعيش في باث، وكان زفايج آنذاك يعاني من كآبة شديدة، ولكنه عاد الى لندن ليقلي كلمة في جنازة سيغموند فرويد، وبعدها انتقل الزوجان الى نيويورك، ثم الى ريو وبعدها ريودي جانيرو.
وظل اثر ذلك كثير الترحال والسفر، حيث انتقل بعدئذ الى ريودي جانيرو والى تلال بيترو بوليس، وتحولت حياته الى دوامة غريبة لا مهرب منها.
وفي الـ٢٣ من شباط عام ١٩٤٢، وجدت خادمة البيت، الاثنان (زفايج وزوجته) قد فارقا الحياة، وهما على السرير، مع وجود رسالة تخبر بانتحارها، وكان السبب وراء الانتحار، تلاشي شهرة زفايج.
ان المتتبع لحياة زفايج، يحس بأنها غير مكتملة، بل ناقصة، ولكن هذا السبب قد يعود الى كآبة الكاتب الثري، وهي ايضا السبب في استمرار شهرته حتى اليوم.

عن الغارديان

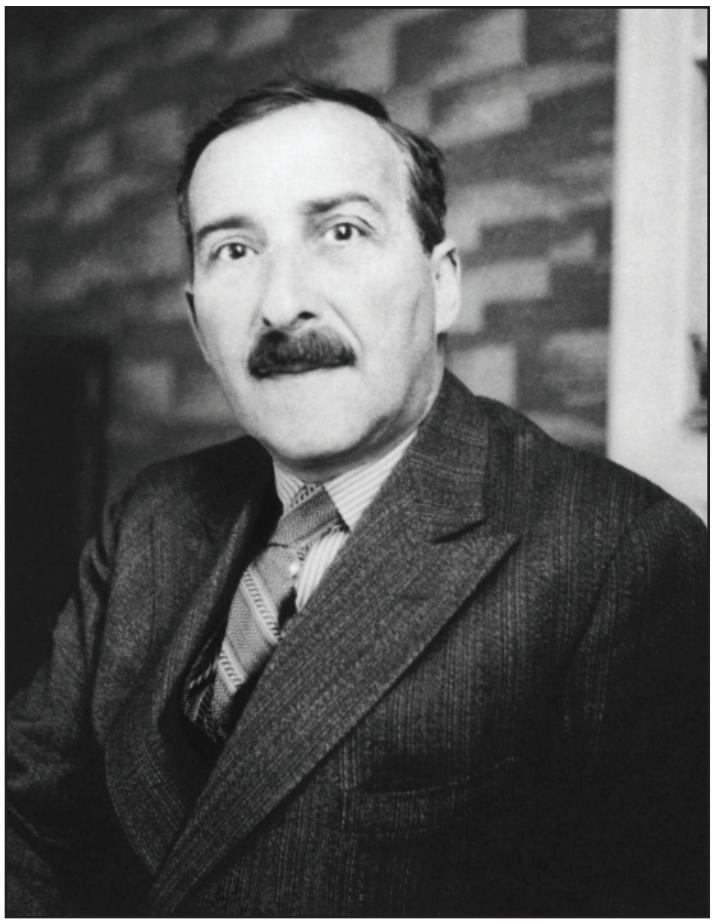

فوضى المشاعر
٢٤ ساعة في حياة امرأة
حذار من الشفقة
أموك
رسالة حب من امرأة مجهولة
الحب الجنوبي
قلوب تحترق
ماري أنطوانيت
و مسرحية واحدة هي:
بيت على شاطئ البحر

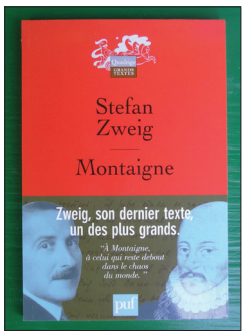

أهـــم أعـــمـــال ستـــيـــفـــان زفـــايـــج

"" 24 ساعة من حياة امرأة"

تبدأ الأحداث في نزل صيفي في إحدى قرى الريفييرا الفرنسية. في ذلك النزل يحدث للمؤلف – الراوي – أن يشهد على فضيحة اجتماعية تدور من حول اختفاء سيدة من مدينة ليون، معروفة بكرم أخلاقها وبأنها سيدة شريفة وأم لأطفال محترمة. وهذه السيدة إذ تختفي يسود الاعتقاد بأنها «اختُطفت» على يد شاب معروف كزير نساء في تلك المنطقة. وبسرعة ينتشر الخبر ويدهش كل النساء بمن فين سكان النزل، من سرعة استجابة تلك المرأة لإغواء الشاب بعد ساعة من الحديث معه. لماذا فعلت هذا؟ كيف تخلت عن أسرتها؟ كيف باعت شرفها؟ كل هذه الأسئلة طرحت في وقت لم يجد فيه الناس، إذ نقبوا في تاريخ السيدة، أي شيء يوحي بأنها قد تقدم على فعل شيء من هذا القبيل يوماً. وهو غائص في أعماق أفكاره، تصله ذات لحظة بطاقة من سيدة إنكليزية عجوز، هي بدورها من المقيمين في النزل، وكانت قد تنبهت سابقاً الى أن هذا الكاتب يكاد يكون – مثلها – الوحيد الذي لم يبد أي احتقار تجاه ما فعلته المرأة الهاربة. وها هي العجوز الانكليزية تبلغ صاحبنا في بطاقتها، أنها تريد أن تروي له، فصلاً من حياتها يشبه الى حد ما، هذا الفصل الذي يعيشونه جميعاً الآن. لعل في روايتها للفصل ما يضيء بعض الشيء على ما حدث. فيوافق الكاتب على الإصغاء الى حكاية السيدة الإنكليزية "مسز سي". وهكذا، تتحول الرواية من حكاية السيدة الهاربة، الى حكاية "مسز سي"، التي تبدأ رواية حكايتها: لقد كنت أرملة في الأربعين من عمري، تركني زوجي المحبوب مع طفليّ ورحل. وكي أخفف من وقع الحزن والترمل

وموت الزوج الحبيب، قمت بسفرات عدة في أنحاء كثيرة من العالم، قبل أن استقر ذات مساء في كازينو مونت كارلو. وهناك اشهد بأم عيني كيف يخسر ويفلس وينهار شاب لطيف. وأدركت أن هذا الشاب قد قرر بينه وبين نفسه، أن ينتحر للتخلص مما أصابه، فقررت إنقاذه، لحقت به طالبة منه أن يلتقيني. في البداية يعتقد الشاب أني من فتيات الهوى اللواتي يصطدن الزبائن في الكازينوات، فرفض ملاقاتي، قائلاً بعصبية واحتقار إنه مفلس ولا يملك أي مال يعطيه لي. قلت له لا تحتاج مالك، بل أنا من ستعطيك مبلغاً كبيراً من المال، شرط أن تترك مونت كارلو، منذ صباح الغد. لم يجبني على هذا العرض، لكنه مع هذا يأخذني الى الفندق الذي يقيم فيه ونمضي الليل معاً. وخلال الأحاديث التي جرت بيننا تلك الليلة، روى لي ذاك الشاب كيف أن القمار قد دمر حياته وعواطفه، كما جعله يدمر كذلك مستقبله الذي كان باهراً في المجال الديبلوماسي. أنه وكما يقول، منذ أدمن القمار لم يعد يفعل أي شيء آخر في حياته. فقط يسعى الى تدبير مال يلعب به القمار، ثم يفلس، يقرر الانتحار. ثم يدبر مالاً ثم يلعب ويخسر وهكذا... الى درجة أنه ذات مرة، وفي سبيل القمار سرق قريبة له كانت وضعت كل ثقتها به. فقد كنت أصغي له بأسى ولوعة وتفهم... ثم حنوت عليه أكثر وأكثر جاعلة إياه يقسم أغلظ الإيمان بأنه، وكما طلبت منه، سيغادر مونت كارلو، منذ يفيق من النوم في صباح اليوم التالي. تطمئن المرأة الى قسمه وصدقه. وتفارقنا في الصباح، لأنظر الى شؤونها وحياتها، فيما هو يغادر مونت كارلو. ولكن عند المساء تفاجأت بالشاب غارقاً في اللعب. في البداية ربح ثروة وفيرة، لكنه بعد دقائق قد خسر معظم ما ربح. وحين اقتربت منه مطالبته الوفاء بما أقسم،ظل يصرخ في وجهي بغضب ونزق أمام الناس جميعاً، ثم رمى في وجهي النقود التي أعطيته إياها أمس. شعرت بإهانة كبيرة. ولم يكن امامي سوى الرحيل تاركة مونت كارلو لأهلها ومقامريها. بالنسبة اليها انتهت مغامرة إنسانية دامت ٢٤ ساعة. لكن الحكاية نفسها لم تنته... إذ ها هي تقول للمؤلف إنها بعد تلك الحادثة بسنوات قليلة علمت بانتحار الشاب "لكنني لم أشعر بأي أسى أو حزن لانتحاره... بل أحسست بقدر كبير من الرضى... لأنه كان شاهداً مزعجاً على ما حدث لي معه ذات يوم في حياتي"...

"ماجلان قاهر البحار"
- ترجمه حبيب جاماتي

عند فجر يوم الثلاثاء العشرين من أيلول من العام ١٥١٩ وقد أصبح يوماً تاريخياً فيما بعد رفعت السفن مراسيها ونشرت أشرعتها في الهواء وأطلقت المدافع تحية للبر الذي أخذ يختفي أمام نظر طواقم السفن الخمس، لم يسلك ماجلان الطريق المألوفة لعبور المحيط الأطلسي على الرغم من الاحتجاجات الصامتة لقادة سفنه، بل أبحر على الشاطئ الأفريقي نحو الجنوب ثم انحرف بسفنه إلى الجنوب الغربي ميمماً شطر ريودي جانيرو في البرازيل، وكانت سفنه جنوباً على الشاطئ الشرقي لأمريكا الجنوبية على مسافة لم تبلغها قبل سفينة أوربية، كما توقع ماجلان فقد حدث عصيان على سفنه، قاد العصيان دي كرتاجينا وكويسارا وكوكا وعنهد العصاة بقيادة السفينة سان أنطونيو إلى رجل ظهر اسمه للمرة الأولى أثناء العصيان جوان سباستيان دلكانو وهذا الرجل الذي وقع عليه الاختيار ليمنع ماجلان من تحقيق مشروعه هو نفسه الرجل الذي سيدفعه القدر كي ينجز العمل الذي بدأه الملاح العظيم ماجلان، رد ماجلان على العصيان بقسوة بالغة، وأعدم جسبارو دي كويسارا ثم ترك كرتا جينا وكاهن السفينة على الساحل أما دلكانو فقد صفح ماجلان عنه وتجاهل دوره في العصيان، استمر ماجلان في البحث الدؤوب عن منفذ إلى المحيط الهادي دون جدوى، وكان يدخل كل مصب نهر أو خليج واسع ظناً منه أنه يؤدي إلى المحيط الهادي ثم يعود بخيبة كبيرة، داهم الشتاء القاسي المستكشفين لكن الإرادة الحديدية لماجدلان وثقته بالنصر الأكيد دفعتاه نحو الاستمرار، لقد دمرت السفينة سنتياغو أثناء البحث، وقرر ماجدلان التوقف لمدة شهرين في مصب أحد الأنهار الصغيرة ولم يكن يعلم أن إبحار يومين فقط سيصل به إلى المنفذ المنشود نحو المحيط الهادي، وعند الوصول إلى المنفذ قامت السفينتان كونسبسيون وسان أنطونيو عائدة إلى إسبانيا، وقامت السفن الثلاث المتبقية بعد ذلك بعبور المضيق الذي سمي فيما بعد بمضيق ماجلان وأبحرت صوب جزر الهند الصينية على مياه المحيط الهادي على الرغم من نفاذ المؤن، كان الإبحار في المحيط الهادي مملاً فهناك سكون وهدوء والسماء ما برحت صافية محرقة والأفق ينفسح لهم كلما أوغلوا فيه، ولم يكن يحيط بالسفن الصغيرة الثلاث إلا الفضاء الأزرق، وهي وحدها النقط المتحركة وسط ذلك الجمود الرهيب، اضطر الملاحون

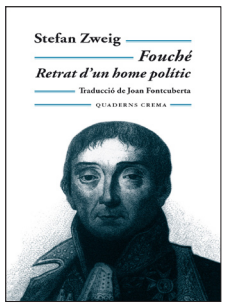

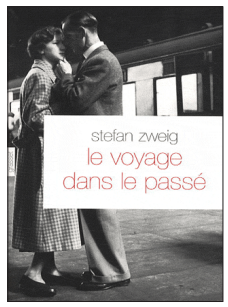

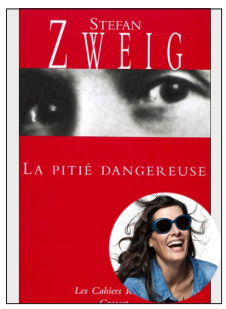

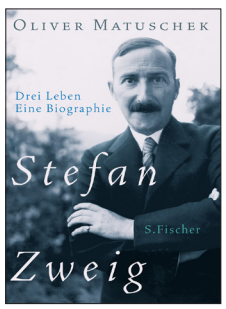

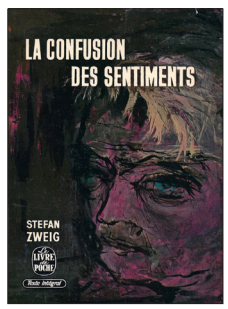

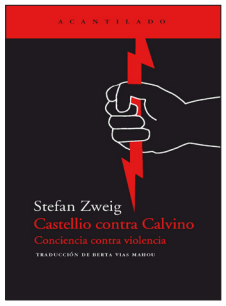

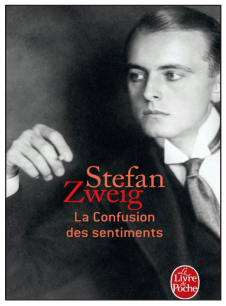

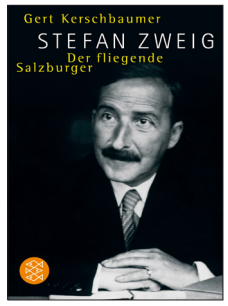

إلى أكل قطع الجلد التي تكسو عوارض الصارية الكبيرة بعد نفاذ المؤن، بعد مرور مئة يوم على مغادرة مضيق ماجلان وصلت السفن إلى الجزر التي عرفت فيما بعد باسم الفيليبين ومن هناك بدأت تنقلات السفن بين الجزر المختلفة في جنوب شرق آسيا، لقد أدرك ماجلان أنه حقق النصر المطلوب لكن القدر كان لماجلان بالمرصاد إذ يلقى الملاح العظيم حتفه في مناوشة حمقاء مع بعض السكان المحليين، قام رجال ماجلان بعد ذلك بتدمير السفينة كونسبيسون التي حدثت فيها ثقوب كانت لا شك ستغرقها وانتقل الرجال إلى السفينتين المتبقيتين، وفي مرحلة تابعة توقفت السفينة تريندياد لضرورة الصيانة ولم يتبق إلا السفينة فيكتوريا، هكذا يقود دلكانو السفينة فكتوريا متجهاً صوب جنوب إفريقيا ثم نحو الشمال إلى إسبانيا، وفي جزر الآس الأخضر اكتشف البحارة أنهم كسبوا يوماً بسبب دورانهم حول الأرض لعبورهم خط طول اليوم الدولي، وبعد جهد هائل تدخل السفينة فكتوريا نهر الوادي الكبير، وبأمر من دلكانو تطلق من مدافعها للمرة الأخيرة إيذاناً بحلول لحظة النصر النهائي، وفي ٦ أيلول من العام ١٥٢٢ انتهت أعظم رحلة بحرية عرفها تاريخ البشرية وهبط على الشاطئ ١٨ رجلاً يقودهم دلكانو وكان قد غادر ١٥٦ رجلاً من ثلاث سنوات نهر الوادي الكبير بادئين رحلتهم التاريخية بقيادة ماجلان.

"فوضى المشاعر"

رواية ممتعة تغرق بالرومانسية، فيها من المفاجآت، أفضل قراءتكم لها، كي لاأفسد متعة الرواية ببعض ما سوف أدرجه منها..

"أسطورة فيراتا"

تقول هذه الأسطورة إنه لا يمكن تحقيق السلام...

"الأخ الذي لايموت"

كتبها ستيفان زيفايج،كتبها بلغة الشعر والحكمة والفلسفة.

حكم القاضي" فيراتا" على المتهم القاتل بالسجن إحدى عشرة سنة، وبجلده مائة جلدة، وقال له: "لقد عاقبتك عقوبة عادلة، ولكن المتهم أجابه: "ولكن يا أيها القاضي. ما هو المقياس الذي تقيس به العدالة؟ ومن ألهبك بالسوط حتى تعرف ما هو الجلد؟ وكيف تستطيع أن تحصي السنين على أصابعك كأن السنة التي تمضي في ضوء النهار مثل السنة التي تقضى في غياهب الأرض؟"

ولم ينم القاضي في تلك الليلة. وفي الصباح قرر في نفسه أمرا. وتوجه إلى قصر الملك. وطلب منه أن يمنحه إجازة شهر للاستجمام ثم توجه إلى السجن. وطلب مقابلة السجين المحكوم. وكانت حجرة السجين على بعد خمس طبقات من الدرجات عن سطح الأرض. وكان عمقها تحت الأرض أبعد مدى من ارتفاع أطول شجرة من شجيرات النخيل. ودخل "فيراتا" وأمسك بالشعلة فوق كتلة مظلمة لم تكد تتحرك برهة من الزمان. ثم صلصل القيد.

وانحنى فيراتا فوق الشخص المنطرح على الأرض وقال: "أتعرفني"؟

– "أعرفك. فأنت من جعلوا في يده مصيري. وقد دسته بقدميك."

– "ليس في يدي مصير أحد، وأنا خادم الملك والعدالة، وقد جئت لأخدم العدالة"

فنظر السجين إلى القاضي نظرة ثابتة حزينة: "ماذا تريد مني؟"

وبعد صمت طويل أجاب فيراتا:

" لقد نلت منك بالكلمات التي وردت في حكمي، وأنت كذلك نلت مني بألفاظك، ولست أدري هل كان حكمي عادلا، ولكن ما قلته كان ينطوي على حق، لأنه يجب على الإنسان ألا يقيس بمقياس لا يعرفه، ولقد كنت جاهلا، ويسرني أن أتعلم، ولقد أرسلت بالمئات إلى مأوى الظلام هذا، ولقد قضيت على أشخاص كثيرين.

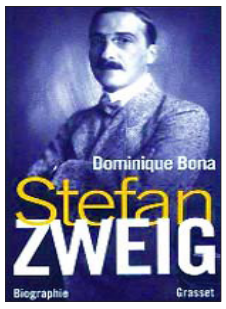

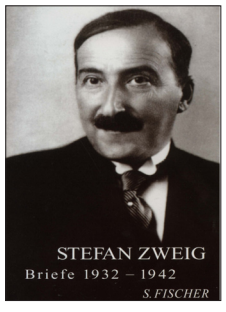

دون أن أعرف ما أنا صانع، والآن أريد أن أبحث وأريد أن أعرف لكي أصير عادلا، وأبقى يوم انتقال الروح بريئا من شوائب الخطيئة. فظل الأسير جامدا لا يتحرك، ولم يُسمع شيء سوى صلصلة القيد، واسترسل فيراتا قائلا:

"أريد أن أعرف ما حكمت عليك بمعاناته، وأريد أن أشعر بوقع السياط على جسدي، وأن أجرب بنفسي حياة السجن. وسأقيم في مكانك مدة شهر لكي أتعلم ما كنت أقتضيه الناس تكفيرا عن ذنوبهم، وسأنطق بعد ذلك بالعقوبة في مكان الحكم، وأنا عالم بما أقضي به وستكون حرا أثناء ذلك، وسأعطيك المفتاح الذي تستطيع أن تفتح به هذا الباب المؤدي إلى عالم النور وسأمنحك الحرية مدة شهر، شريطة أن تعدني بالعودة، وسينفذ الضوء إلى عقلي من ظلمات هذه الأعماق"

فوقف الأسير كأنه قدّ من الصخر، ولم تُسمع صلصلة قيده.

"أقسم لي بأنك ستلتزم الصمت خلال هذا الشهر، وأنا أعطيك المفتاح وملابسي، وعليك أن تترك المفتاح خارج حجرة البواب، وتنطلق بعد ذلك حرا، ولكنك ستظل مقيدا بقسمك بأن تحمل هذه الرسالة إلى الملك ليطلق سراحي من السجن حتى أحكم بعد ذلك بالعدل، فهل تقسم بأن تنفذ هذه الوصية؟"

فانبعث صوت متهدج كأنه مقبل من أعماق الأرض يقول: "أقسم على ذلك".

ففك فيراتا قيود السجين وتجرد من ملابسه. وقال: "البس هذه الثياب، وأعطني ثيابك، وأخف وجهك حتى يخالك السجان إياي. والآن قص شعري ولحيتي حتى أظل أنا كذلك مجهولا".

وتحت تأثير نظرات فيراتا الآمرة، فعل السجين ما أمره به مرتجفا مترددا، ولاذ بالصمت مليا، وأخيرا ارتخى على الأرض ونشج باكيا في تأثر بالغ:

"لا أستطيع احتمال مكابدتك الشقاء بدلا عني، لقد قتلت ويداي مضرجة بالدم والقضاء كان عادلا".

"لا أنت ولا أنا نستطيع أن نقرر عدالة هذا القضاء، ولكن سرعان ما يشرق الضوء على عقلي، فاذهب كما أقسمت، وحينما يعاود القمر اكتماله احمل كتابي إلى الملك ليطلق سراحي، وحينما يجيء الوقت سأعرف ما أنا قائم به من الأعمال، وستكون أحكامي بريئة من مجافاة العدالة فانصرف."

فركع الأسير وقبّل الأرض ودوى صرير الباب المغلق في الظلام، ونفذت مرة أخرى من خلال كوة أشعة من الشعلة، وخفقت على الحيطان ثم اكتنف ظلام الليل الساعات. وفي صباح اليوم التالي، جلد علانية فيراتا الذي لم يعرفه أحد، وحينما صب على ظهره العاري أول سوط أطلق صرخة، ولكنه لم يلبث أن أطبق على شفتيه وضغط على أسنانه، وفي الضربة السبعين غشي عليه، وحمل بعيدا كالوحش الميت.

ولما ثاب إليه وعْيُه كان مستلقيا في الحجرة، وخيّل إليه أنه قد انطرح على فراش من الفحم المشتعل، ولكن جبينه كان باردا، واستنشق رائحة الأعشاب المتأبدة. ولما فتح عينيه قليلا أبصر زوجة السجان إلى جانبه تبلل جبينه في رفق، ولما نظر إليها بانتباه أكثر. أدرك أن نجمة العطف كانت تشرق عليه من نظرتها، وتحقق وهو يعاني من الآلام الجسدية أن معنى الحزن يمكن في سماحة العطف".

"المعركة مع الشيطان"

تتحدث عن الوسواس الداخلي الذي لا يترك صاحبه يرتاح، فيقض مضجعهم، ويجنوا وينتحروا.

"لاعب الشطرنج"

عانى السير "ب" ألم الحبس وعثر في زنزانته على كتيب في لعبة الشطرنج هذه اللعبة الملوكية وداخل جدران السجن يسلى نفسه فيصبح مهووسا بكل ادوارها وخططها ويستحيل لاعبا وخصمه في آن واحد الى أن يجن بهذه اللعبة السحرية والمثيرة فيفقد اعصابه ويبدأ الهذيان، وعلى ظهر الباخرة المقلعة صوب مدينة "بيونس ايرس" يلاعب السير (ب) البطل العالمي (سيركو).

"عالم الأمس"

اتوبيوغرافيا: دون فيها كل أحداث الانقلابات منذ الحرب العالمية الأولى إلى مسببتا (الفاشية والنازية) الحرب العالمية الثانية.. عبر تفاصيل قالها ستيفان زفايج الذي ترك بلاده النمسا هربا مما طال يهود ألمانيا، وانتقالاته بين المدن إلى أن استقر به الحال في البرازيل، حيث أثبطت عزيمته بالكثير من الإحباط واليأس فأقدم على الإنتحار.

"بناة العالم"

إن بناة العالم ليسوا هم الجنود، أو الحكام، أو الأباطرة، وإنما الفنانون والكتاب. فهم أيضا مناضلون، ولكن في الظل. لقد ناضلوا من أجل أفكارهم، من أجل أحلامهم. وكل طاقاتهم كرسوها لخدمة الانسان. وبدلاً من أن يدمروا، فإن هؤلاء المبدعين عمروا وبنوا. إنهم يقدمون عملاً يدعو للسلام بين الشعوب في جميع أنحاء الكون ولأنهم لا يسفكون الدماء من أجل البرهنة على قوتهم أو جبروتهم، ولا يدبرون المؤامرات ولا يشعلون الحروب فإن الناس يتجاهلونهم أو يستهينون بهم.

"رسالة من امرأة مجهولة".

كان الروائي الشهير (ر) في عطلة قصيرة في الجبال، ثم عاد إلى شقته في فيينا، ووجد عدداً من الرسائل في انتظاره. فتح

◄

واحـدة أو اثنتين من هذه الرسائل، ثم ترك جانباً مغلفاً ثخيناً مكتوباً بخط غريب، عاد للمغلـف، فوجده أشبـه بمخطوطة، وليس برسالـة. وشـرع بقراءتـه بعـد أن أشعـل سيكاراً:

"إليك، أنت يا من لم يعرفني قط". ما هذا؟ وواصـل القراءة: "إبني مـات أمس" وبعد ذلـك "والآن لم يبـق لي سـواك في العـالم، سـواك أنت يا من لا يعرفني... أنت وحدك، يـا من لا أكف عن حبه". ثـم "إليك أردت أن أتوجه بالكلام... لأنني أريدك ان تقف علي حياتي كلها، تلك الحياة التي كانت لك دائماً والتي لا تعرف عنها شيئاً". لكنها لم تكتب إليه هذه الرسالة إلا لأنها على يقين من أنها ستفارق الحياة...

"سأمـزق هذه الرسالـة وأبقى صامتة كما كنـت. لكـن إن وقعـت هـذه الرسالـة بـين يديـك، فستعلـم أن امـرأة فارقـت الحيـاة تسـرد لـك قصة حياتهـا، قصة حيـاة كانت لك من أولهـا الى آخر لحظة من وعيها. فلن تكون بـك حاجـة الى الخوف مـن كلماتي. فالمـرأة الفاقـدة الحيـاة لا تتطلـب شيئاً، لا حباً، ولا عاطفة، ولا مواساة".

"لكنني سأحدثك عـن حياتي كلها، الحياة التـي لم تبـدأ حقـاً إلا يـوم رأيتـك للمـرة الأولى". عندمـا دخـل في عالمهـا كانـت في الثالثـة عشـرة مـن عمرها. وبعـد أن بلغت الثامنة عشرة تزوجت أمها الأرملة من رجل ذي دخل لا بأس به. وانتقلت معه الى مدينة أخـرى. وطلبـا منهـا مرافقتهمـا. فترضخ البنـت وهـي مجـبرة، لتمضـي عامـين في معانـاة موصولـة لأنها بعيدة منـه. إلا انها لم تقـاوم أكـثر من ذلـك، فعـادت الى فيينا، اليـه، وإن من بُعد، بَعـد أن وجدت لها عملاً في محـل يعـود الى أحد أقـارب زوج أمها. وكانت حياتهـا كلها مكرسة لـه عن مسافة. وصـارت تشـتري كتبـه، وتقرأهـا مـرات ومرات لتعيش عالمه.

علـى أية حال، وجـدت هذه السيـدة نفسها مضطـرة لأن تعيشـ مع هـذا الرجل الغني الكريم الذي عرض عليها الزواج ورفضته. وذات ليلـة كانت تسهـر في أحد الملاهي مع صاحبهـا ورفاقه. فلمحته هـو أيضاً. فغمز لهـا إن كانـت ترغـب في مرافقتـه. فتركـت صديقهـا، وحتى معطفهـا وخرجت معه في عز البرد، وكلهـا أمل في انه سيعرفها. لكنه أمضى الليلة معها من دون أن يعرفها. وفي الصباح نقدها ورقتـين نقديتين. فهمّت بأن ترميهما في وجهه، لكنها أعطتهما الى خادمه الـذي تذكرها بعد كل تلك السنين. وخرجت مسرعـة لأن عينيهـا كانتـا مغرورقتـين بالدموع، ولم تكن بها رغبة لرؤيته.

"لـن أستطيـع ان أكتـب أكـثر مـن ذلـك، فرأسـي ثقيـل جـداً، وأطـرافي تؤلمني، وبـي حمّـى، وعلـيّ أن أستلقـي لأتلقـى الموت...". وطلبـت منه شيئاً واحداً، هو أن يضـع ورداً بيضـاء في مزهريتـه الزرقاء في مناسبـات عيد ميـلاده، كما كانت ترسل اليه كل عام.

ووقعـت رسالتها من يديـه. وراح يمعن في التفكـير. نعم، إنه يتذكر علـى نحو غامض صبيـة كانـت جـارة لـه، وامـرأة في صالة رقص. وحـاول ان يعتصـر ذاكرتـه أكـثر من ذلـك، لكنه لم يتوصـل الى شيء واضح وملموس. ووقـع بصـره علـى المزهريـة الزرقـاء أمامـه. كان ذلك يوم عيـد ميلاده. فوجدهـا خالية مـن الزهور للمـرة الأولى. فألمّت بـه رعشة، وتملكـه إحساس بالموت، وبحب عميق يطوقـه. وارتج كيانه لذكرى هذه المرأة الميتة.

رأي الآخـريـن فـي أعـمـالـه

"مكسيم غوركي" قال:

في رائعة ستيفان زفايج -٢٤ ساعة في حياة امرأة-: "أنه لا يذكر أنه قرأ ما أشد عمقا منها"

"الكاتبة والروائية الفرنسية دومينيك بونا":

تصـف ستيفان زفايج بـ"الصديق الجريح"،الكريم في صداقاته والمسالم والملتزم في السياسة.

تقـول المؤلفة: "هناك سر عنوانه ستيفان زفايـج، وقد حررت هذا الكتاب من أجل محاولة الكشف عن خفاياه".

لقـد استطاع ستيفان زفايج وهـو "الكتوم والمتحفـظ أن يشعل نارا لدى شخوص رواياتـه وأن يجعـل قارئيـه يشعـرون بحـرارة هـذه النار"، وتضيـف قائلـة: "إن أصـول هذه النار هـي التـي أردت البحث عنها في محطات حياته".

وعـن اسلوبه قالت: "ستيفان زفايج يشعّ دائما.ولا يزال يجذب الآخرين ولا يزالـون يحبّون أسلوبه السريـع والواثق وحساسيته لا تزال زاخرة بالحيـاة». وتـرى المؤلفـة أيضـا أن هناك سببـا آخر لاستمـرار الاهتمام بأعمـال شتيفـان تسفايـغ وهـو أن «الظـلال الخفيفـة وسحـب الدخـان المتناثـرة في أعمالـه ربما تتناظر جيّدا مع أشكال قلقنـا وأشكال عذاباتنا الحاضرة".

قال لوران سيكسيك

عن الهولوكوست قال في ستيفان زفايج

"إذ أصابتـه هـذه العمليـة بالضربة القاضية علـى الرغم من أنه كان لا يشعر بأنه يهودي، إلا أنها بقيت عملية غير مفهومة بالنسبة إليه".

كتاب لوران سيكسيك "أيام ستيفان زفايج الأخيرة"، تناول فيه السيّر من جهة والكتب التي أبدع موضوعاتها من جهة أخرى.

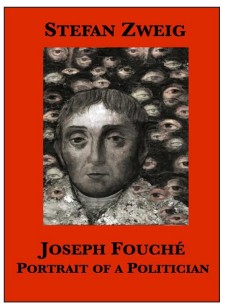

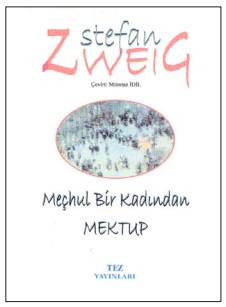

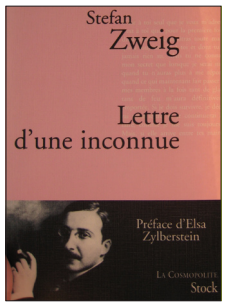

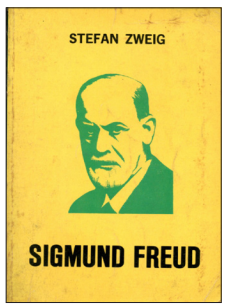

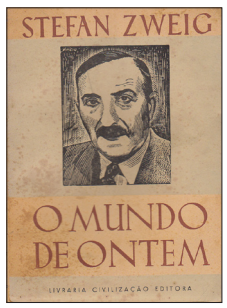

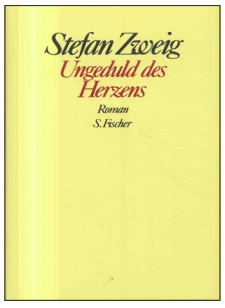

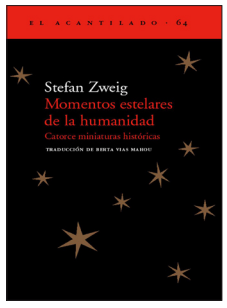

انتحار ستيفان زفايج

■ في يوم ٢١ شباط عام ١٩٤٢ جلس في بيته الفخم يودع معارفه بريدياً ويشرح لهم أسباب انتحـاره وكتـب يومـذاك ١٩٢ رسالـة وداع، بما في ذلك رسالـة إلى زوجتـه الأولى وبعد ذلك دخل ستيفان زفايج إلى غرفة النوم،فتناول كمية كبيرة قاتلة من "الفيرونال -الأقراص المنومة " واستلقـى علـى فراشه، ثم التحقت به "لوت"، وهي بثوب الحمام، وفعلت الشيء نفسه.. وتعانقا بحنان وطال العناق. فلم يفهم أصدقاء ستيفان زفايج فعلته.

وفي اليـوم التالي اقتحم خدم المنزل غرفة النوم لتأخرهمـا بالاستيقاظ المعتاد ليجدوا الأديب وزوجتـه قد فارقـا الحياة في عناق أبـدي ودون إثارة ضجة،ولم ينس الأديـب أن يعطي كلبه المدلل جرعة كبيرة من المنومات،فنام بدوره أمام باب غرفة النوم.

"رسالته لزوجته الاولى يخبرها موته "

■ كتب رسالة لفريديريك- زوجته الأولى- الذي حافظ معها على صداقة عميقة، مفادها: "أكتب لـك هـذه الرسالة وأنا في الساعات الأخيرة من حياتي. لا تتصوري كم أنا أحس بالسعادة بعد اتخاذي هذا القرار".

■ قـرر ستيفـان التخلص من الحياة وهو يشهد انهيار السلـم العالمي وويلات الحرب العالمية الثانية فشعر بخيبة شديدة وتوترت أعصابه المرهفة فأقدم على فعلته دون وجل، ولم ينس أن يشكر حكومة البرازيل حيث انتحر على حسن الضيافة والرعاية،علماً أن الراحل كان قد حصل على الجنسية البريطانية قبل انتحاره بمدة وجيزة.

"عن انتحاره يقولون ":

■ يسمـي الدكتور فخري الدبـاغ هذا الأنتحار بـ"الانتحار الثنائي" وهو الرغبة في الموت مع شخص آخر تربطه به عواطف ساخنة ووشائج متينة وصفوة القول فقد كان ستيفان متسرعاً في اتخـاذه لقرار إنهاء حياته نتيجة حساسيته المفرطة وسلبيته ولو انتظر عدة سنوات لشهد بنفسه عودة السلم العالمي واندحار النازية والفاشية معاً.

قال توماس مان لزوجته:

■ "انـه أنـاني! لم يفكر إلا في نفسه عندما انتحر! الا يعـرف أن جميع الكتاب الألمان يعيشون في فقر مدقع وهم يبحثون عن لقمة الخبز؟ فبعد أن شردهم هتلر بوحشيته وهمجيته في جميع أقطـار الأرض اصبحـوا أذلاء يقفون على أبواب الناس. وأما هو فكان معـززا مكرما يعيش عيشة الملوك ومع ذلك فقد انتحر!".

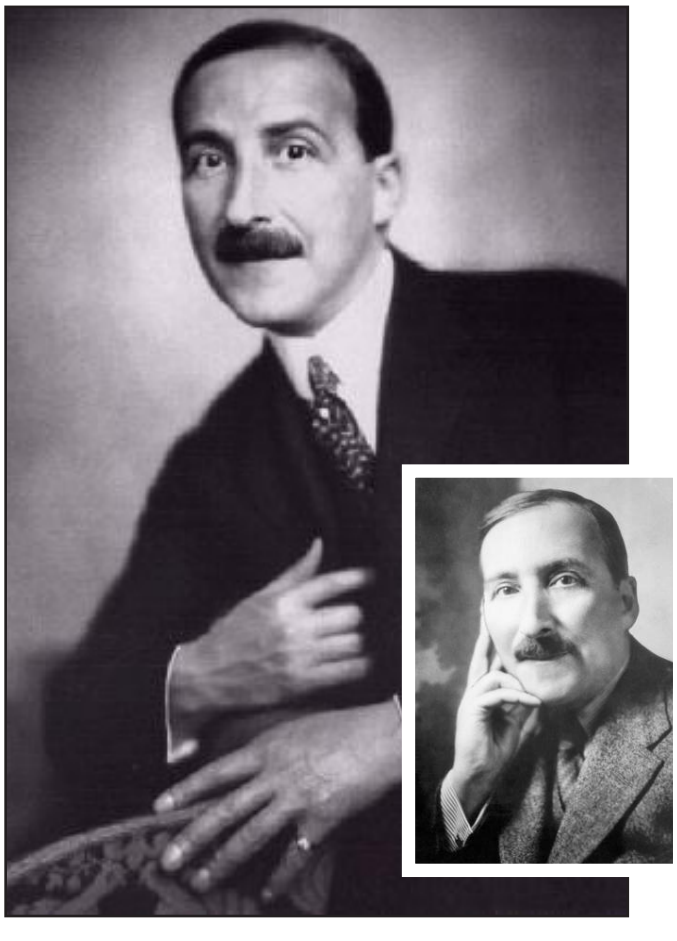

حـيـاة فـي رسـائـل جـوزيـف روث.. ستيفان زفايج وآخرون

جوزيف روث

حياته كانت ملأى بالأحداث مثل رواياته

((لا يمكنني أن أتخلى عن الإنسانية أو الحرية)) أعلن جوزيف روث في رسالة الى صديقه النمساوي ستيفان زفايج. الحرية، كانت الصواب الذي يلائم وضع ممتلكاته في حقيبتي سفر والإقامة في الفنادق؛ الانتقال في سنة واحدة من النمسا الى المانيا الى فرنسا الى روسيا؛ ألا يكون له عنوان ولا حساب في المصرف. كان متزوجا، من امرأة أودعت في مصحة الأمراض العقلية، وكان له علاقات طويلة الأجل مع عشيقات. لكنه تجنب ((روائح الطبخ والحياة العائلية)). ((أتبرّز على الأثاث. أكره المنازل)) الإنسانية، كانت الواجب الذي يدفعه لمساعدة هذه النساء مع آبائهن واطفالهن. كان روث في الغالب مفلسا، لكنه مع هذا تقاسم المال الذي كان معه مع ثماني نساء أخريات.

ترجمة: عباس المفرجي

على نطاق أوسع، كانت الحرية هي الترخيص الذي يسمح له بازدراء أصدقاء وأمم يفتقرون الى الإنسانية. كان روث يعيش في المانيا في ١٩٣٣، لكن في اليوم الذي أصبح فيه هتلر مستشارا رحل عنها ولم يعد أبدا. ((ما يميّزني عن الجميع، الذين هم ناشطون في المانيا)) قال لي زفايج الأكثر تكيّفا: ((هو بالضبط ما يميّز الإنسان عن الحيوان)).

العيش بهذه الطريقة التي لا تقبل التسوية مرهق ومكلف. بحلول عام ١٩٣٥، لم يبق أحد، من أصدقاء وناشرين، الا واقترض منه نقودا، وحتى من ساقي الحانة الذي أبدى استعداده لذلك. كان يعمل لعشر ساعات في اليوم، منتجا كل يوم مقالة وكل سنة رواية، لكنه كان رجل أعمال فاشل ومدمنا على الكحول. وكان زفايج يوبخه لأنه يصرف على الشراب أكثر مما تصرفه عائلة متوسطة الحال على أمور العيش. نتيجة لذلك ن كان روث ينحل جسديا. كان يتقيأ طحالا ودما؛ كانت عيناه تشتعل وقدماه منتفختان؛ كان شعره وأسنانه يتساقطان.

ها هو روث، الذي كان ينزف ويصرخ من خلال رسائله، اصبح متاحا في اللغة الانكليزية لأول مرّة من قبل مايكل هوفمان. ليس هناك أي سيرة حياة لروث بالانكليزية، وحتى الآن ستكون هذه بالنسبة للعديد من القرّاء أول لمحة عن الإنسان الذي يقبع خلف رواياته. سيكون بمقدور قرّاء "مسيرة رادتزسكي" أن يطابقوا روث مع سيماء أشهر شخصياته، ليوتنانت تروتا، الذي هو الآخر متشرد وكحولي مدمر لذاته. لكن بينما يستجيب تروتا بشكل سلبي للأحداث، فإن مبدعه يرمي نفسه بعنف على العالم، شاجبا له حتى عندما خسر معركة بقائه حيا. في واحد من أروع مقالاته السيرية التي تقاطع مرارا هذا الكتاب، يضفي هوفمان على روث سمات ((رجل يقوم برحلة الى حافة العالم على برميل)). كان روث يعرف أنه مدان، لكنه دفع بنفسه قدما، قاصدا التدمير حيثما ذهب، عبْر الرسائل والبرقيات التي كان يدبجها باهتياج شديد، ويرسلها بشكل ملحّ ((متظاهرا ان البرقية لم تخترع بعد)) كما قال زفايج يوما دفاعا عنه.

تثبت الرسائل انها وسيلة مثالية للوصول الى معرفة رجل قاوم سيَر الحياة التقليدية، حابسا الحياة الخاصة به داخل أسطورة. في كتاب "اليهودي التائه"، الاستكشاف الأسر لأصول روث الغاليثية، يصف دينيس ماركس روث بكونه ((واحد من أكثر الكذابين استثنائية في الأدب)). كان روث يعيد مرارا اختراع مكان ولادته وتاريخه المبكر وغالبا ما كان يناقض نفسه. كانت رسائله تتيح لهذه التناقضات والقصص البديلة أن تتعايش. يمكنه هو ان يقول للكاتب الشاب برنارد فون برنتانو أن تجربة الحب باطلة، زائلة، بعد الجنس، ((تماما مثلما يتلاشى الفيل الوردي حين تتناول الكحول))، لكنه يقع هو نفسه في الحب ويصرّ على ان الحب وحده يمكن أن يجعله يحسّ بأنه حيّ. يمكنه أن يؤكد لبرنتانو ((ساكون دائما صديقا لك))، لكنه يعلن بعدذاك بأربع سنوات أن برنتانو هو واحد من الناس القليلين الذي يتمنى بشدة قتله ((دون الشعور بوخز الضمير أكثر مما أشعر وأنا اطفئ سيجارة)).

مع ذلك، تبقى بعض الرؤى في الرسائل متماسكة، ويظهر روث للعيان ضميرا متميّز الشذوذ بالنسبة لعصره. كان روث يكره المانيا، بأناقتها الزائفة، أصواتها العالية وغانياتها القبيحات، وميولها القومية الأكثر خطرا. وقرفه من القومية قاده الى احتقار اسرائيل الصهيونية، ربما بنفس القدر الذي يلعن به المانيا المعادية للسامية. ((صهيوني هو اشتراكي قومي، اشتراكي قومي هو صهيوني.)) يصف يهوديته الخاصة به بـ ((مسألة ميتافيزيقية)). رغم أنه سعيد بأن يعرّف نفسه بيهودي، لكنه كاثوليكي الروح.

هذه هي مجموعة غريبة من رسائل، لا تتضمن رسالة موجهة الى زوجة روث أو عشيقاته، وهناك رسائل قليلة جدا لأسرته. ووصف علاقاته الرومانسية هو أقل تكرارا من قوائم مبالغ ديونه. لكن من الواضح أن ولعه يكمن في الأدب والصداقة أكثر من الحب والزواج. في هذه الناحية، تعيننا الرسائل حقا على التعرّف على أكثر الجوانب توهجا وشخصية في روث، والأكثر منها في مراسلاته مع زفايج. صداقة روث معه رسمية على نحو نموذجي. في عام ١٩٣٠ أقنع زفايج روث بأن يسقط كلمة (سيد) من المخاطبة، لكن روث ظل يحجم عن مخاطبة زفايج بـ "ستيفان". مع هذا، فإن الرسمية لا تمنع التعبير عن الحب العميق والكراهية. كان روث مخلصا بقوّة الى "الحبل السُرّي للصداقة" مع زفايج، لكنه كان غالبا ما يهدد بنهاية الصداقة إن أخفق زفايج بأن يبعد نفسه بشكل كاف عن المانيا. ((سأكف عن حبك في اللحظة التي تصبح فيها ابن العالم)). في النهاية، قرّر روث أن يهجر زفايج. ثمة رسائل قليلة اليه قبل سنة واحدة من وفاة روث في أيار ١٩٣٩. يُطري هوفمان، المعروف بخصومته لزفايج، على إدراك روث بتفوّقه ككاتب وكانسان على حد سواء. في واحد من الهوامش الدوغماتية التي ساهمت بجعل هذا الكتاب مسليّا، يقول لنا هوفمان أن روث هو الكاتب الأفضل، والقرّاء الانكليز الذين يدمجون نصوصهما معا هم ((جهلة ولا يمكن الصفح عنهم)). وبكل تأكيد، يتجسّد روث هنا كأعظم إنسان. كان فاشلا في علاقاته الدنيوية؛ كان يتصرّف كالمجنون كزوج وزميل وصديق. لكنه كان مبدئيا وذا بصيرة، وعلى نحو مؤثر عاش حياته على نطاق هائل، مضحيا بالكرامة في سبيل الصدق والتوهج. ((لا وطن لي، فضلا عن أنّي أشعر بالوطن في نفسي)) كتب في ١٩٣٠. ((حيثما أكون تعيسا ذلك وطني)) يظهر روث في الرسائل كالبطل التراجيدي الذي كان يرفضه في رواياته.

عن صحيفة الغارديان

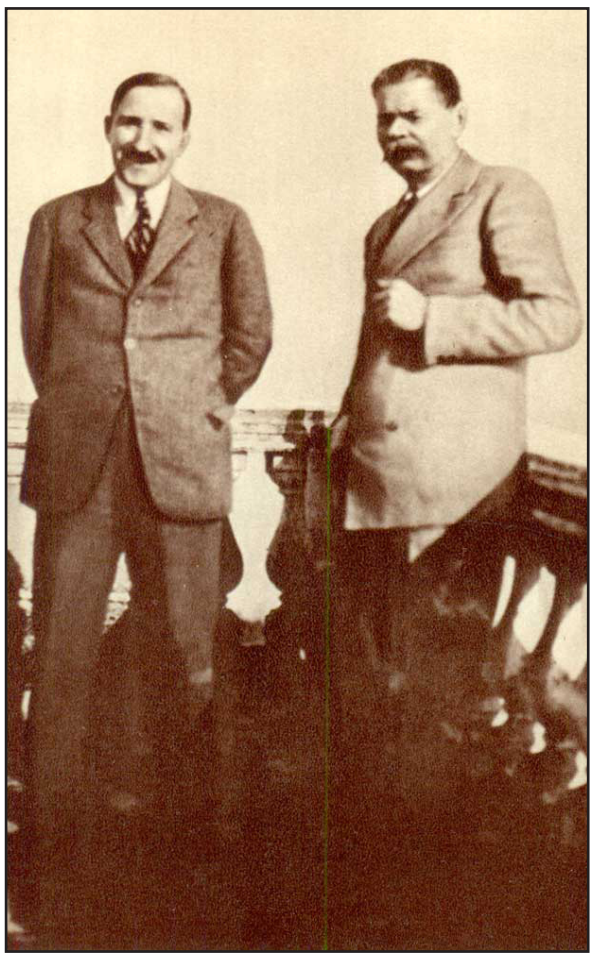

ستيفان زفايج... أحد بناة العالم

دفء الحيـاة في غرفتين، وسـيجار وزيارة واحدة في اليوم للمقهى

نجـم والـي

من يتعمق في هذه الرسائل، يجد نفسه مرة واحدة في عوالم غريبة، سكانها يبدون كما لو أنهم سلموا أنفسهم تماماً للعمل الفكري، وثقتهم الكبيرة لقوة الفن ولغة القلوب، التي هي في أحايين كثيرة تثير الشغف بصورة مباشرة. هناك نظام منضبط بالتعبير وفي طريقة الاشتغال على العمل الأدبي، وإرادة بالتلفظ والتعبير، تجعلان حاضر الكتابة يبدو بالمقارنة مجرد رطانة. تلك هي طريقة الكتابة عند كل أولئك الذين يفرحنا نعتهم بـ "بناة العالم"، كما نعتهم "ستيفان زفايج"، في كتابه الذائع الصيت الذي سحر جيلي بصورة خاصة، والذي ربما يدرك أكثر من غيره معنى قراءة عمل عظيم ينتمي للماضي، ليكتب: "الحاضر يعاني دائماً من بعد نظر غريب للعين: المرء يتعرف على كل ما هو كبير في البعيد، على عكس صورة كل ما هو قريب، التي يشعر بها مشوشة ومجهولة".

والحاضر بما يخص الجزء الثالث من رسائل ستيفان زفايج التي نقرأها هنا، هو أعوام ١٩٢٠ – ١٩٣١؛ تلك الأعوام التي استطاع فيها كاتبها تثبيت نفسه ككاتب روائي، وصاحب منمنمات تاريخية، ومؤلف سير شخصية وكاتب مسرحي: "٢٤ ساعة في حياة امرأة" و "خوف" و "اضطراب المشاعر"، ثلاثة أعمال مهمة في حياة المؤلف نشأت بين أعمال أخرى في هذه السنوات، من ضمنها مقالاته الثلاث الرائعة عن عالم الكلاسيكيين، التي تُرجمت عندنا تحت عنوان "بناة العالم"، بالإضافة للسير التي كتبها عن حياة "جوزيف فوكه" و "ماري أنطوانيت".

نحن نلتقي هنا إذن بفنان في قمة حياته الإبداعية، رجل في عقد سنواته الخمسين، يودعها في رسالة إلى أخيه ألفريد بمناسبة ميلاده الخمسين في ٢٨ نوفمبر ١٩٣١، لا تخلو من تفاؤلية خاطئة ينهيها: "أقرأ للتو في الصحف الألمانية أشياء سافرة تقريباً. لكني أشعر إذا استدعت الحال بنفسي مستعداً بما فيه الكفاية، لرمي كل أثاث البيت كي أبدأ مرة أخرى من جديد: كأولاد لأبينا تعلمنا منه شخصياً طريقة معينة بالعيش المتواضع. بإمكاني أن أعيش مرتاحاً في غرفتين، والقليل من السيجار، مع زيارة المقهى مرة واحدة في اليوم، أكثر من ذلك لا أحتاج شيئاً. لذلك من غير الداعي أن يقلق المرء نفسه".

ربما كان يحاول في ذلك الوقت منح نفسه الشجاعة، التي سيحتاجها بصورة ملحة بعد ثلاث سنوات، عندما كان عليه أن يذهب للمنفى، إلى انكلترا، ثم ليرحل بعدها بعيداً، حتى البرازيل، لكن ليس بعيداً بما فيه الكفاية، لكي يهرب من حب العودة لأماكن طفولته والشوق لرؤية أصدقائه، والحرب. ربما ذلك هو التفسير الوحيد، أو أحد التفسيرات لسبب انتحاره مع زوجته في العام ١٩٤٢، في البرازيل. إذن فقط عشر سنوات ظلت له للحياة بعد آخر رسائل هذه المجموعة – أنه بالفعل أمر يدعو للعويل! –، والتي نقرأ فيها تلك الجملة التي تفوق كل شعر: "أحيي كل أصدقائي، ليروا قدر ما يستطيعون بزوغ الفجر بعد ليل طويل! أما أنا، نافذ الصبر، أرحل سلفاً، قبلهم"، كتب في رسالته الأخيرة.

ليس بإمكان المرء الادعاء بأن ذاك الشؤم لم يدمغ رسائل سنوات الحرب تلك بوقت مبكر، وأن زفايج ذاته حدس ذلك: "ربما أنا متشائم جداً. لكن حتى اليوم كانت توقعاتنا الأكثر سوداوية تُكتسح دائماً من الواقع" كتب في العام ١٩٢١. عام بعد ذلك قتل صديقه "راتيناو": "لم أر بأكثر سوداوية أكثر من اليوم: الأمر الواقع، هو أن المرء ما زال يصيد المفكرين في ألمانيا، كما يفعل مع الأرانب....– أنه أمر مميز جداً!" وأكثر من ذلك بعد سنة: "أن ما يحدث في ألمانيا، يفوق كل التوقعات المحزنة. جنون على جنون! "الرسالة معنونة لرومان رولان، الكاتب الفرنسي وداعية السلام الأوروبي، الذي كان يتراسل معه زفايج منذ عام ١٩١٠ (غالباً باللغة الفرنسية) والذي كان بالنسبة إليه نموذجاً عالياً للأديب الإنساني: "أن فضيلته"، كتب إلى مكسيم غوركي، "أحكامه العادلة، ونزاهته هي صفات نادرة على وجه هذه الأرض المسكينة، رغم أنه يصارع الشر بجسد عليل".

يلاحظ المرء بصورة جيدة الكلمات القليلة هذه وبأي فيض يغمر زفايج واثقاً شركاءه بالمراسلة، وبأي دأب يصر على الشيء بأسنانه. حتى أنه لا يتردد من توضيح سبب عدم رغبته كتابة أي موضوع عن غوستاف فلوبير، وأن عذره: أنه يكتب إلى حد ما جيداً هناك فقط، "حيث أكون شغوفاً بالموضوع"، وهذا يحدث تقريباً مع كل موضوع يمس شغاف قلبه، وليس لذلك علاقة باسم الكاتب ومكانته، وذلك ما نجد تأييده بصورة خاصة في أجوبته على العديد من المؤلفين الشباب، الذين أرسلوا له كتبهم. وفي تلك المراسلات نلتقي بزفايج المخلص لملاحظاته، زفايج البعيد عن كل ديبلوماسية، وكيف أنه يبذل كل ما في وسعه، لتصعيد كل ما يجده جيداً، بل أنه لا يخفي انفعالاته المباشرة.

وبالذات يشعر قارئ هذا القسم من الرسائل بخفقان قلبه بصورة خاصة. أنه لأمر يثير الدهشة حقاً، كيف أن زفايج لا يستهين بأي

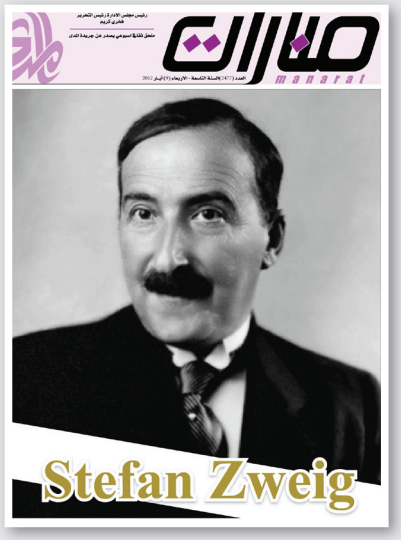

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير

عدنان حسين

مدير التحرير

علي حسين

الاخراج الفني

ديـار خـالـد

التصحيح اللغوي

محمد حنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

كتاب، على العكس أنه يحرص في أجوبته على وضعه في حيز فكري، لكي يتفادى إثارة الانتباه بالتركيز على نقطة الضعف هذه أو تلك. وبعض الأحيان يُلبس شكوكه لبوس اعتراضات ناشر ويكتب للكاتب: "الناشرون عندهم خوف كافر كامل قبل كل شيء من كل ما لا يتجاوب معه الجمهور بطواعية". قول جميل. أو يقول لكاتب آخر، بأن رواياته تحوي على "غنى حياتي وتنوع" وأن "القارئ المعاصر متعود على سرعة زمنية شبيهة بالسينما ولا يتوقع المرء تنقلات أحداث، من صورة إلى أخرى، إنما من الممكن ترتيبها واحدة بعد الأخرى بهدوء دون التوسط بينها". ثم يقترح على الكاتبين برقة، لكن بصورة قاطعة، أن يختصرا أعمالهما ويهذبانها. لكن لا يغيب عن نظرنا أن خلف ملاحظاته، نفهم: أن موهبة زفايج بتعشيق الحركة الداخلية للقصة مع المجرى الخارجي للحدث، لا يملكها في كل الأحوال أي من الكاتبين.

على أية حال أن كل ما نقرأه، هو الجانب المعلن من كاتب الرسائل زفايج (طبعاً أكثر إثارة للاهتمام هو نبرتها الشخصية)، الجانب المستخلص من عالم المفكرين المتوتر بعض الشيء، المقصود أيضاً ذلك الجانب، الذي يستطيع المرء التطلع إليه عبر كتف الكاتب؛ في الوقت الذي يجب على المرء أن يقول في حالة زفايج، بأن فنه في العيش يكمن بالذات في ذلك الشيء الحميمي: عقد الصداقات، حيث يختلط ما هو يومي مع ما هو أبدي. لكن هناك طبعاً على الجانب الآخر من تبجيل بشر مثل فرويد أو غوركي، رسائل حميمة شخصية لزوجته "فريدريكه" أو لصديقه "فكتور فلايشر". من جانب آخر يظل الأمر الأكثر إثارة في مجموعة رسائل مثل هذه، بأن المرء يحاول دائماً، استخلاص ما يشبه سيرة حياة للكاتب من كل الحلقة المنتظمة لتلك الكتابات؛ وأن على المرء أيضاً تخيل كل ما يمكنه من سد ثغرات تلك الرسائل، بالإضافة إلى تخيل ما يمكن أن تكون حياة الإنسان الذي يختفي خلفها. في هذه الثغرات، أو ما يطلق عليه البعض "بين السطور"، يقدم زفايج نفسه ممزقاً بين التقرب للناس والهروب منهم، بين الحماس بالعمل والتعب، بين وعي الواجب وضغط الحرية. أنه يسافر بشغف، ويفضل الاختفاء في مجهولية الغربة. أما النجاح الذي عاشه الكاتب، فقد ترك تأثيراته الأولى بصورة واضحة، أما الشيخوخة فتقلقه: "أنني بحاجة لمصل من العناد، قوة العمل، ورش البودر (على المرء أن يقع في الحب ويسافر لمدة ثلاثة أسابيع مع بنت شابة!) الغثيان المتجمع عندي من الأدب لا يمكن وصفه)". هنا كان قد قطع طريقاً طويلاً، وترك خلفه الرجل الشاب الذي كان يعبر في رسائله الأولى عن توقه للاعتراف به وقبوله بين صفوف النخبة، والذي لم يتردد في الكتابة (كان في بداية سن الأربعين) من الكتابة لـ "جوزيف روث"، الأقل منه سعادة: "أنا أخجل قليلاً أمامكم، لأن حياتي تجري سلسة، حيث لا أملك في العمق عدم الخوف فقط إنما عندي توق سري وتراجيدي للهزات الكبيرة".

طبعاً في لحظات الفراغ والكآبة هذه يميل زفايج بالضبط للمبالغة والفيض، لكن هنا أيضاً من الممكن النظر إلى ذلك بأنه بالذات من قوة التوتر تلك صنع عمله الأدبي، الذي يتحدث دائماً عن انعدام السيطرة والشعور بالفقدان "أحياناً هناك ما ينبع من هذه الأزمات"، يكتب لزوجته، "أحياناً يصل المرء عبرها إلى عمق أكثر – لكن في النهاية أنها جزء من الإنسان أيضاً".

هكذا هو الأمر مع هذه الرسائل، أنها مثل جبل من الثلج: جزء من شخصية ستيفان زفايج، يبدو أمامنا الآن أكثر شفافية، لكن المرء يتساءل في الوقت ذاته عن نسبة الماء التي ما زالت تجري تحت ذلك الجبل، والتي على المرء تكهنها. ربما ذلك ما يشكو زفايج من نقصانه: "هذا الفن العالي الصافي لكتابة رسالة يبدو أنه يسير إلى زواله. المخرب الأول هو الصحيفة، التي يكتب فيها كل شيء للجميع. المخرب الثاني هو آلة الطابعة، التي تسرق من الكلمة روحها، التي يمنحها كل إنسان في خطه، وكيف أنها تجعلها تختفي خلف مرآة باردة؛ الدمار الثالث جاء مع التلفون، حيث يخبر الناس بعضهم البعض بعجالة، قبل أن يقتحم الدفء الأعماق، في الدم الحيوي"....لكن لو كان صاحب "بناة العالم" يعلم....ما الذي كان سيقوله عن زمن الإيميل والانترنيت...؟

كُرِّمت واحتقرت،
ونعمت بالحرية
وحُرمت منها، وتمتعت
بالغنى وعانيت العوز